غرناطة

وآثارها الفاتنة

تأليف

الدكتور عبد الرحمن زكي

الناشر

شركة نوابغ الفكر

غرناطة
وآثارها الفاتنة

دكتور
عبد الرحمن زكى

الناشر
شركة نوابغ الفكر

الطبعة الاولى
1431هـ - 2011

شركة نوابغ الفكر
هاتف:25936402 ،فاكس: 27865553
E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

زكى ، عبد الرحمن
غرناطة واثارها الفاتنه / عبد الرحمن زكى
ط-1 القاهرة: شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع
116ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-6305-915
ا- غرناطة- تاريخ
أ- العنوان

ديوى:953.071

رقم الايداع: 2011/13927

بسم الله الرحمن الرحيم


mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab

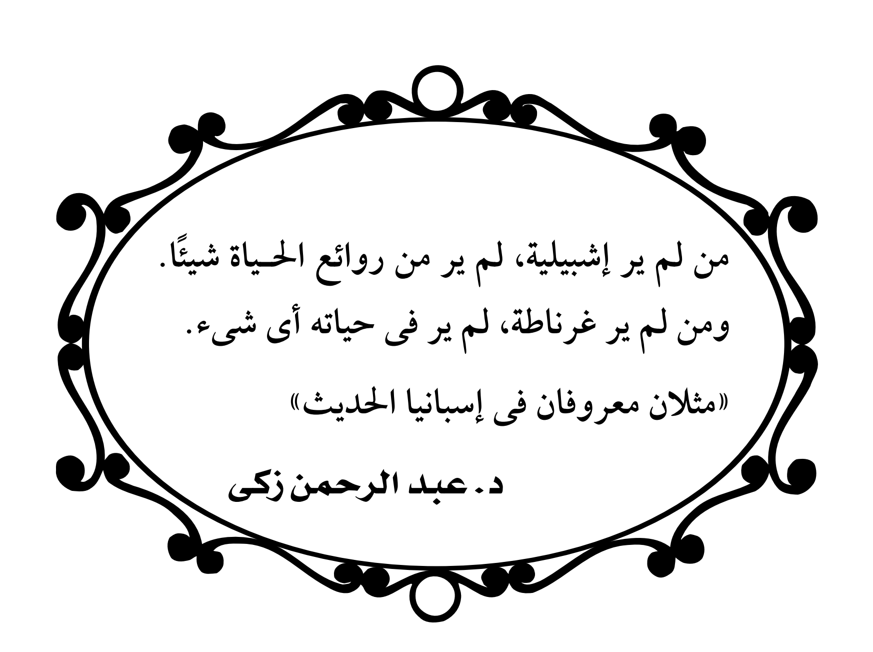

mohamed khatab




mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab



من لم ير إشبيلية، لم ير من روائع الحياة شيئًا.
ومن لم ير غرناطة، لم ير فى حياته أى شىء.

«مثلان معروفان فى إسبانيا الحديث»

د. عبد الرحمن زكى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

منذ صدر الإسلام، رأينا العرب يخططون الأمصار والمدن والقصبات وينشئونها. وقد اندثر بعضها أو قلت أهميته، فى حين ازدهر بعض آخر، وتطور إلى مدن كبيرة، أصبحت منائر إشعاع للحضارة الإسلامية. فقد شيد عقبة بن غزوان فى خلافة عمر بن الخطاب مدينة ابصرة (١٤هـ: ٦٣٥م)، ثم أسس أبو الهياج الأسدى مدينة الكوفة (١٧هـ: ٦٣٨م)، وأقام عمرو بن العاص مدينة الفسطاط (٢١هـ: ٦٤١م) بمعاونة بعض قادته الذين نهضوا بتخطيطها. وأنشئت فى العصر الأموى وحده أكثر من خمس وعشرين مدينة جديدة من بينها القيروان التى شيدها عقبة بن نافع (٥٠هـ: ٦٧٠م)، كما بنى الحجاج الثقفى فى أيام عبد الملك بن مروان مدينة واسط (٨٣/ ٨٤هـ: ٧٠٢/ ٧٠٣م) وذلك بالإضافة إلى منشئات شيدت للراحة والصيد، مثل قصر عمرة والمشتى وقصرى الحيرة الشرقى والغربى وغيرها. واختطت فى العصر العباسى مدن عدة أخرى، منها العسكر التى بناها صالح بن على العباسى على أيام السفاح فى شمال الفسطاط (١٣٣هـ: ٧٥٠م)، كما أسس أبو جعفر المنصور بعد ذلك سامراء فى شمالها، فالقطائع، قاعدة أحمد بن طولون فى مصر (٢٥٦هـ: ٨٧٠م)، والعباسة ورقادة وسوسة ووهدان وفاس فى بلاد المغرب. واتسعت أرجاء مكة والمدينة ودمشق وحلب وقرطبة وعشرات غيرها

من المدن العربية التى أصبحت مراكز للحـضارة العربية تضىء العالم بنشاطها العلمى والفنى.

فالـعرب، إذن بناءون.. نعم بناءو مـدن كثـيرة، اسـتقر فـيهـا دينهم وحضارتهم على مر العصور، وما زالت تلك المدن حتى اليوم فى طليعة مدن العالم الزاهرة، تتحدث كلها عن ماض تليد وتراث علمى خالد.

ونهضت فى الأندلس العـربية خاصة مدن شتـى تبين ماضى العرب فى تخطيط المدن، ومنهـا قرطبة وأشـبيلية وغـرناطة التى كانت قاعـدة آخر دولة عربية حكمـت فى الأندلس على أثر قيام حركة الاسـترداد الإسبانيـة: قرطبة اللؤلؤة الساطعة فى عقد المدن الأندلسية وقال عنها أحد الشعراء العرب:

دع عنك حضـرة بغداد وبهـجتـها

ولا تعظـم بلاد الفـــرس والصين

فمـا على الأرض قطر مثل قـرطبة

وما مشى فـوقها مثل ابن حـمدين

ولخص شاعر عربى مفاخرها بقوله:

بأربع فـاقت الأمـــصـار قـرطبـة

منهن قنـطرة الوادى وجـامـعـهـا

هاتـان ثنتـــان والزهـراء ثالثـــة

والعلم أعـظم شىء وهو رابعـــهـا

وسطعت أشبيلية فى أيامها العربية وخاصة فى أيام بنى عباد، ملوك الطوائف فى أواسط القرن الحادى عشر (م) وكانت حاضرة مملكتهم العظيمة، وسطعت كذلك خلال حكم الموحدين حيث كانت قاعدة حكمهم بالأندلس زهاء قرن من الزمان من منتصف القرن الثانى عشر إلى منتصف القرن الثالث عشر، ثم سقطت فى أيدى القشتاليين فى شهر نوفمبر سنة ١٢٤٨م.

***

أما غرناطة، فنتحدث عنها بإيجاز.. فى هذه الصفحات.. وغرناطة تركت أثرًا أبعد مما تركته شقيتها الأندلسية «قرطبة» على الرغم من أن ظهور غرناطة فى التاريخ العربى الأندلسى كان متأخرًا عن ظهور قرطبة. فإننا نذكرها دوامًا لما تركته من الأسى فى صدورنا! لقد فاخر عرب الأندلس بغرناطة ويذكر المؤرخ المقرى أن واحدًا قارن «شنيل» نهر المدينة، بألف نيل، حيث قال:

وما لمصر تفخر بنيلها ، وألف منه فى شنيلها!

عبد الرحمن زكى



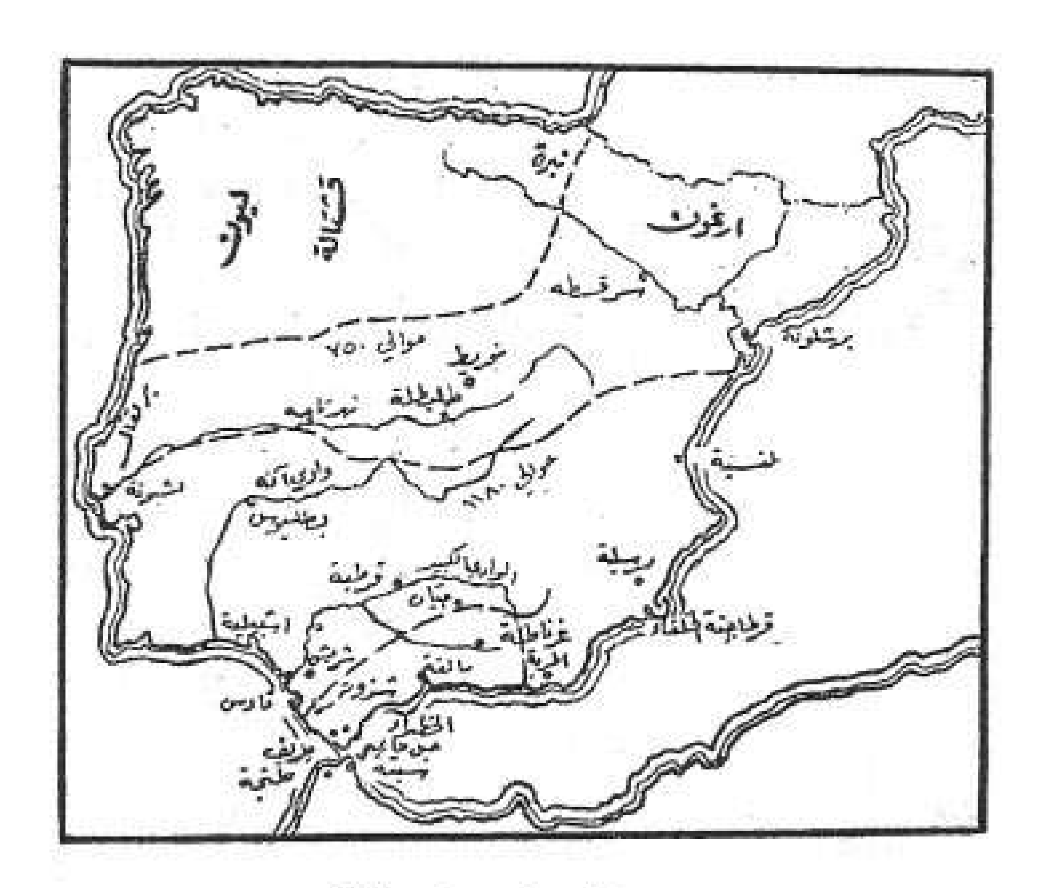
الفصل الأول

فتح العرب الأندلس

وصلت الفتوح العربية فى شمال أفريقيا إلى ذروتها تحت قيادة موسى ابن نصير فى عام ٧٠٩م، فختمت المرحلة الأفريقية، ومن ثم بدأ الإعداد للمرحلة التالية.

كانت إسبانيا فى ذلك الحين، أى إلى الفتح العربى دولة مسيحية اسميًا، فقد كانت آخر إقليم فى نطاق الإمبراطورية الرومانية متمسكة بالوثنية، ويبدو أنه تحت حكم القوط، لم يبذل جهد يذكر لتحويل أهلها إلى النصرانية.. وكان سكانها قد تحملوا الكثير من العسف وأقسى ألوان الظلم، وعاشوا تحت ظل العبودية والإقطاع والفقر. ولذلك كان من اليسير عليهم، فى تلك الظروف التعيسة، أن يتلقوا دعوة الإسلام، ويرحبوا ترحيبًا حارًا بالقادمين الجدد، كما فعل أهل مصر البيزنطية حينما استقبلوا المسلمين تحت قيادة عمرو بن العاص.

كان القوط يحكمون إسبانيا منذ عام ٤١٨م حتى جاءها العرب عام ٧١١م. وكان مقر بلاط ملوكهم فى تولز، أما قاعدتهم فى إسبانيا فكانت طليطلة. ويمكن القول أنه حتى القرن السادس، لم يكن حكم القوط فى إسبانيا قد دعم تمامًا. وكان يتولى الملك العرش بطريق الانتخاب. وبعد أن استقرت الكاثوليكية فى البلاد تقاسم الحكم الملوك ورجال الكهنوت على ما يبدو. وكان اليهود فيها لا يعاملون بالحسنى بالرغم من أنهم كانوا من دعائم



مراحل الفتح العربى فى الأندلس

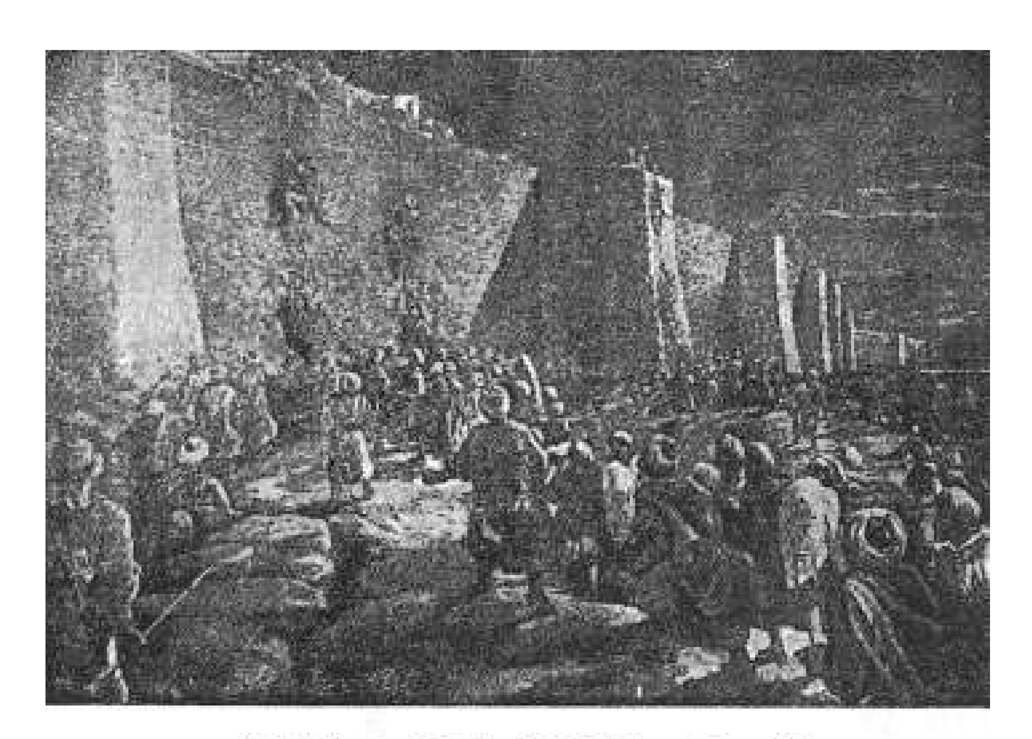
الثروة والازدهار، ولذلك ساعدوا العرب على فتح البلاد وحكمها بعد ما أدركوا عدلهم وسماحة دينهم.

وحانت الفرصة فى عام ٧٠٩م، حينما اتصل ابن أحد ملوك القوط فى إسبانيا بالعرب وعرض عليهم مساعدته، إذا أعادوا العرش لأبيه من مغتصبه روذريق. وقام الكونت يوليان الرومى حاكم طنجة بالوساطة بين العرب والأمير القوطى. وبعد أن اعترف لهم بالولاء عينوه حاكمًا على سبتة.

وصلت بعـثة يوليان إلى طارق بن زيـاد حاكم طنجة المسـلم، وبعد أن تحـدث مع المبعـوثين، أرسلهم إلى رئيـسه مـوسى بن نصيـر فى القيـروان. وسرعان مـا أذن له الخليفة الوليد بن عـبد الملك بإعداد حملة عـسكرية لفتح إسبانيا. . فتم تجهيزها من العرب والبربر.

وفى عام ٧١٠م خفت حملة استكشافـية مؤلفة من البربر لريادة المنطقة التى سوف تنزل فيها الحملة، وللتعـرف على أحوال مسالكها وطبيعة بلادها. والمعـروف أن هذه الطليعـة كانت بقـيـادة طريف. وفى العام التـالى أى فى ٧١١م، كان القائد طارق وبصـحبته يوليان الرومى قد نزلا إلى البـر الإسبانى عند جبل طـارق، ثم اتجه الجيش من الجنوب إلـى الشمال فى خط مـستـقيم تقريبًا حتى اسـتولى على طليطلة (جنوب غرب مدريد) فى سبـتمبر ٧١١م، وبعـد طليطلة استـمر طارق فـى مسـيره فى اتجـاه شمـالى شرقى حـتى بلغ ألكالادانيارس (قلعة عبد السلام)، وهناك أتاه أمـر من رئيسه موسى بن نصير بأن يعود إلى طليطلة، وينتظره فيها.

خف موسى من الجنوب إلى أشـبيلية، فاستـولى على باجة ويابرة، ثم على ماردة بعـد قتال وحصار طويـلين. وكان لذريق قد نجا من مـعركة وادى لكة، ولجأ إلى حصون قرب ماردة. وهناك تقـدم لقتال موسى، فهزم وقتل. ومن ماردة تقـدم موسى، فـاحتل طلبيـرة (تالافيرا دى لارينـا) جنوبى غربى طليطلة. وفى ذلك المكان لقيه طارق وأسلم له القيادة. وفى ذلك الحين أعلن موسى أن الحـاكم الشرعى لإسبانيـا هو خليفة المسلمين فى دمـشق. ثم سارا معـا، ففتحـا سرقسطة، واتجهـا شمالاً بغرب مع نهـر أبرو، ففتحـا قلهرة، وبنبلونة، ثم أماية - فـاستدرجا، ثم لك (لوجو)، ثم أبيض (أوفـييدو)، ثم



العرب فى حصار قرطبة يتسلقون جدرانها ٧١٢ م

خيـخون، فأتما بهذا فـتح إسبانيـا. وتركا حاميـة قرب خيخـون، وعادا إلى طليطلة، ورجعا منها بأمر من الخليفة الأموى إلى أفريقيا، ثم دعيا للمثول بين يديه فى دمشق (٧١٤).

تولى قيادة الجيش بعدهما عبد العزيز بن موسى (الذى أصبح واليًا على الأندلس نيابة عن أبيه). فأتم ما بقى من شرق إسبـانيا وفى غربها، فاستولى على مالقا وقطاع البيـرة - غرناطة اليهود، ووقعت فى قبضتـه لبلة (نيببلا)، ويابرة (ايفورا)، وشنترين (سانتا ريم) فى البرتغال.

* * *

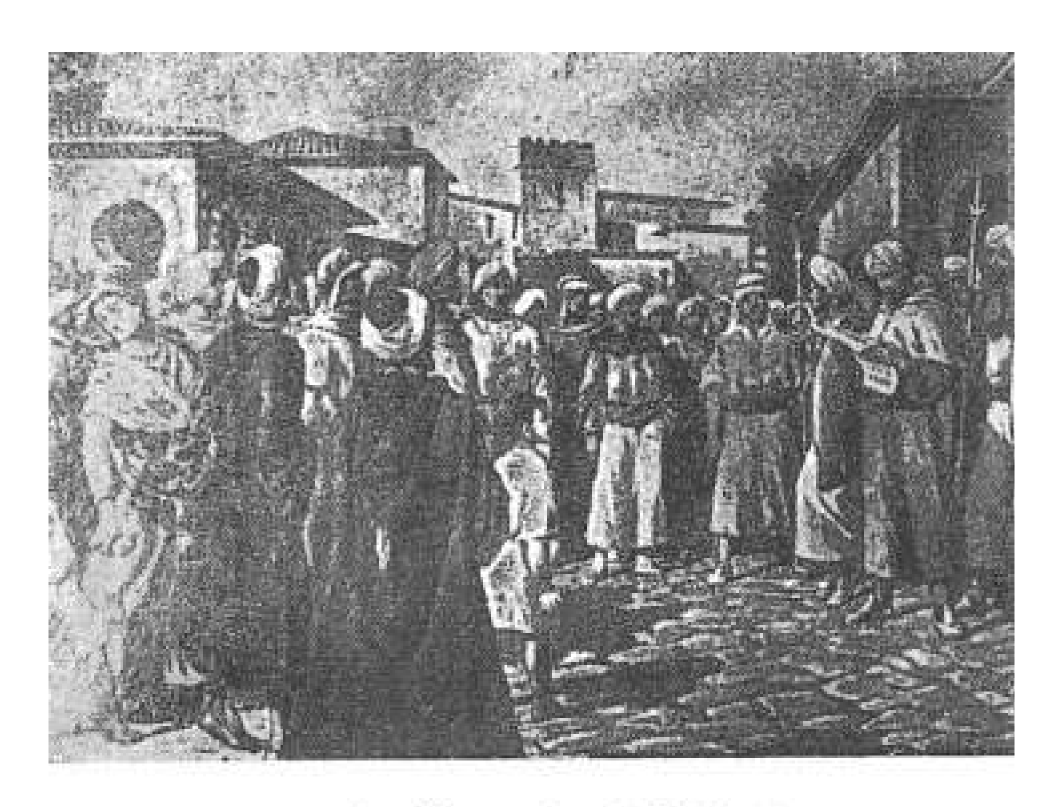
هذه مـرحلة الانطلاق الأول فى مـوجـة الفـتح العـربى للأندلس. لم تستغـرق سوى أربع سنوات وعدة أشهر (٧١١ - ٧١٥)، وصل العرب فـيها إلى جبال البرانس الفاصلـة بين إسبانيا وفرنسا. وقد استعـاد الإسبان إقليمهم هذا الذى احتله العرب فى سنوات قـلائل - استعادوه فى ثمانيـة قرون! لقد كان هذا الفتح معجزة من المعجزات.

وعلى أى حال، نقـول إنه فى أعقاب فتـرة الفتح، جاءت فتـرة أخرى امتدت قرابة أربعين سنة (٧١٥ - ٧٥٥) كـان الأندلس فى خلالها ولاية تابعة لدمشق مـركز الخـلاف الأموية. ومع ذلك فـقد انحـسر ملك العـرب خلاله قليلاً.

ثم أقبل إلى الأندلس (٧٥٥) عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، وأنشأ إمارة قـرطبة عـام ٧٥٦، بعد رحلة شاقـة جاب فى خـلالها أقطار الشـمال الأفريقى حتى وصل إلى سبتة. ومنهـا أوفد مساعده بدر ليكشف عن أحوال الأندلس وليرى إذا كان سيلقى التأييد من الزعماء العرب أم أنهم سيصدونه.

ومن حـسن الطالع أن مهـمة بدر كلـلت بالنجاح، فـأسرع بالاتصـال بالأمير عـبد الرحمن للقدوم إلى الوطن الجديد. وبعـد أيام رست سفينة عند مالقة حيث كان بعض الزعماء فى اسـتقباله. وفى العام التالى (٧٥٦) حصل على ولاء معظم القادة من العرب والبربر.

هكذا قـدر بعد مـرور ست سنوات على سـقوط الخـلافة الأمـوية فى دمشق، أن نهض أحد أفراد الأسرة الأموية نفسـها - بعد أن قضى العباسيون عليهـا - فشـيد صـرح ملك جديد دام حـوالى ٢٥٠ سنة كانت قـاعدته فى قرطبة ثم أشبيلية فغرناطة.



تسليم طليطلة لعبد الرحمن الثانى عام ٨٣٨ م

لم يتخذ عبد الرحمن (٧٥٥ - ٧٨٨) لنفسه لقب الخلافة، بل إنه اكتفى بلقب السلطان أو الأمير. أما لقب الخليفة، فقد اتخذه عبد الرحمن الثالث بعد مرور مائتى سنة تقريبًا على وصول سميه الأول. ونهض بعد عبد الرحمن الأول سبعة أمراء يعرف عنهم بأنهم خيرة من عرف العرب والمسلمون من حكام - كفاية وعدلاً وحزمًا، كان منهم هشام بن عبد الرحمن (٧٨٨ - ٧٩٦)، فالحكم بن هشام (٧٩٦ - ٨٢١)، فمحمد بن عبد الرحمن (٨٥٢ - ٨٨٦)، والمنذر بن محمد (٨٨٦ - ٨٨٨)، وعبد الله بن محمد (٨٨٨ - ٩١٢)، ثم تولى عبد الرحمن الثالث، المعروف بالناصر، ويعتبر أعظم الحكام الذين عرفتهم إسبانيا المسلمة. وأصبحت قرطبة فى أيامه درة العالم وكعبة

الحضـارة. وكان عبد الرحـمن الناصر أول من اتخذ لقب «الخليـفة» (٩٢٩م) وتسمى بـ «الناصـر لدين الله». ومنذ ذلك الحين أصبح فى العـالم الإسلامى ثلاث خلافـات: العباسـية فى بغداد، والفـاطمية فى القـاهرة، والأموية فى قرطبة.

ولما توفى عبد الرحمن (٩٦١م)، تولى الحـكم من بعده الحكم بن عبد الرحـمن المعروف بالمستـنصـر (٩٦١ - ٩٧٦)، ثم هشام بن الحكم المعـروف بالمؤيد (٩٧٦ - ١٠٠٨) ولما كـان غلاماً صـغيرًا حـينما تولى الأمـر، سيطر واحد من رجـال الدولة وهو محمـد بن أبى عامر عـلى الحكم، واستطاع أن يجعل من نفسه الحاكم الفعلى، وتلـقب بالمنصور. وقد تمكن من توسيع رقعة الإسلام فى الأندلس[١] فتخـطت نهر دويرة، وارتفعت إلى شمـاله عند نهر المينو، وضمت جزءًا كبيرًا من إمارة نافار (نبرة).

ولما مات المنصـور خلفه اثنان من أبنائه، ثم أخـوه عبـد الرحمن. وفى أيام هذا الأخير ثار الأندلسيون وبدأت فتنة أهلية، وتعاقب على عرش الخلافة فى أثنائها عدد من الخلفاء من بنى أمية أولاً، ثم من أسرة تعرف ببنى حمود، ثم استردها بنو أمية، حتى إذا تولى آخر بـنى أمية الأندلسيين، ويسمى هشاما المقعد، كان أهل قرطـبة قد سئموا الفوضى، فاجتـمع رؤساؤها وقرروا إلغاء الخلافـة الأموية سنة ١٠٣١م. ومن ثم تقـسمت البلاد إلى إمـارات مستـبدة تعـادى كل منهـا الأخر، وبدأ فـى تاريخ الأندلس مـا يعرف بعـصـر ملوك الطوائف.

---

(١) د. مؤنس: رحلة إلى الأندلس، ص ٢٥ - ٢٦.

ملوك الطوائف

فى أثناء ضعف خلافة قرطبة، انتهز ملوك النصارى فى الشمال هذه الفرصة، فوسع كل منهم سيادته على حساب المسلمين. فانحدرت حدود الأندلس إلى نهر تاجة، فيما عدا الناحية الشرقية، إذ ظلت حدود الأندلس، هناك فى حوض نهر إبرو، أى أن الأندلس لم يعد يشمل إلا نصف شبه الجزيرة.

ففى عام ١٠٨٥ استولى ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على أكبر ممالك الطوائف، وهى طليطلة. ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الأندلس يشمل إلا ثلث شبه الجزيرة فقط!

أدرك الأندلسيون الخطر فاستنجدوا بأهل المغرب، وكانت دولة المرابطين قد نهضت فى شمال أفريقيا، وسرعان ما أقبل رئيسها يوسف بن تاشفين لنجدة ملوك الطوائف المنقسمين على بعضهم، فهزم الملك ألفونسو السادس فى معركة الزلاقة (٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م)، وكان من معارك المرابطين الظافرة فى الأندلس، معركة أقليش (٣٠ مايو ١١٠٨م)، وافراغة (يونيو ١١٤٣م). وأبطال تلك المعارك يوسف بن تاشفين فى الزلاقة، وتميم ابنه فى أقليش، ثم يحيى بن غانية فى افراغة!

المرابطون:

وكان المرابطون قد نشأوا فى صنهاجة ثم قامت دولتهم أولاً بالمغرب وبرز فيها يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش. ولما استنجد به ملوك الطوائف ووقف على ضعفهم ألحق بلادهم بمملكته وعاد إلى فاس واتخذها

عاصمـة ملكه. ولما مات (١١٠٦م) خلف دولة امتدت من السـنغال إلى نهر الأيبر، وفن الأطلسى إلى الجزائر.

الموحدون:

وقعت غرناطة تحت حكم المرابطين بعـد إزالتهم أسرة الزيريين، فنصب هؤلاء من قـبلهم الحكام من عـام ٤٨٣هـ = ١٠٩٠م إلى ٥٥١هـ = ١١٦٦م حينما سقطت فى يد الموحدين. وكـان أول وال مرابطى فى غرناطة اسمه أبو محمد عبد العزيز، وجاء من بعده الأمير يحيى بن وسينو.

وعلى مـر الأيام ضـعف أمـر المرابطـين، وقـام عليـهم الموحـدون فى المغرب، فثـار نفر من الأندلسيين، وعادت الفتنة، وفى أثنائهـا استولى ملك أراغـون على الثغـر الأعلى، وقـاعدته سـرقسـطة سنة ١١١٨، بهذا أصـبح الأندلس لا يشمل سوى ربع شبه الجزيرة!

وفى عام ١١٥٠ عبر الموحدون إلى الأندلس ليـعملوا على الحفاظ على ما بقى منه، ونجحوا فتـرة قصيرة، فانتصروا على المسيـحيين فى معركة الأرك (١٩ يوليو ١١٩٥م)، ثم لم يلبثوا أن انهزموا فى معركة العقاب (لاس نافاس دى تولوز - ١٧ يوليو ١٢١٢م)، وتعتبـر هذه السنة نهاية حكمهم الفعلى فى الأندلس.

وفى خلال الصراع بين المرابطين والموحدين، سقطت عـدة مدن إسلامية فى أيدى النصارى، منها: طرطوشة (١١٤٨)، ولاردة (١١٤٩)، وقلعة رباح (كالاترافا) (١١٥٧)، والمنطقة التى تعـرف حاليًا بالبرتغال (١١٥٧ - ١١٧٧) ثم جيان (١٢٣٢) وفى عام ١٢٣٦ سقطت قـرطبة عاصمة الأندلس كله، ثم

بلنسية (١٢٣٨)، ثم مرسية، فكل شرق الأندس حتى مالقة (١٢٤١)، ثم سقطت أشبيلية (١٢٤٨)، وتبعتها شذونة، وأركش وقادش!!

وفى وسط هذه المحن القاسية المتتالية، قاوم الفقهاء والمجاهدون هذا السيل النصرانى - تمامًا كما فعل زملاؤهم فى المشرق أمام ضربات الصليبيين فى البلاد المقدسة. فاستشهدوا فى سبيل الله. وكان منهم: أبو على الصدفى، وأبو الربيع سليمان بن سالم وكانت سنه قد تخطت السبعين، وظل فى المعركة يجاهد حتى أكلته السيوف، ومنهم محمد بن يوسف بن هود، البطل المقدام الذى قطع الأندلس من بلنسية إلى ماردة والسيف فى يده حتى استشهد فى قفار المنشا على مقربة من حصن صغير، كان يعرف بالبسيط[١].

يذكر حسين مؤنس فى «رحلة الأندلس» أنه فى وسط هذا الطوفان، استطاع فارس عربى أندلسى هو محمد بن الأحمر أن يعتصم فى غرناطة وما حولها حتى وادى آش فى الغرب، ومالقة فى الشرق، ثم أنشأ إمارة عربية تجمعت فيها جماعات من المهاجرين المسلمين من البلاد التى سقطت، وحصن هذه النواحى تحصينًا منيعًا، واستطاع أن يصمد لهجمات الممالك المسحية ابتداء من عام ١٢٣١[٢]. وفى هذا القطاع الجنوبى الصغير صمدت مملكة غرناطة الإسلامية قرنين ونصف قرن حتى قضى عليها فى ٢ يناير ١٤٩٢م.

هكذا أفل نجم الفتح العربى فى الأندلس بعد ثمانمائة سنة. ففى أعقاب الفتح العربى الأول وأبطاله موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وعبد العزيز بن موسى، كانت سيادة العرب قد شملت شبه الجزيرة كلها (إسبانيا والبرتغال

(١) د. حسين مؤنس: ص ٢٣١.

(٢) هناك رأى يقول بعد وفاة ابن هود (١٢٣٨م).

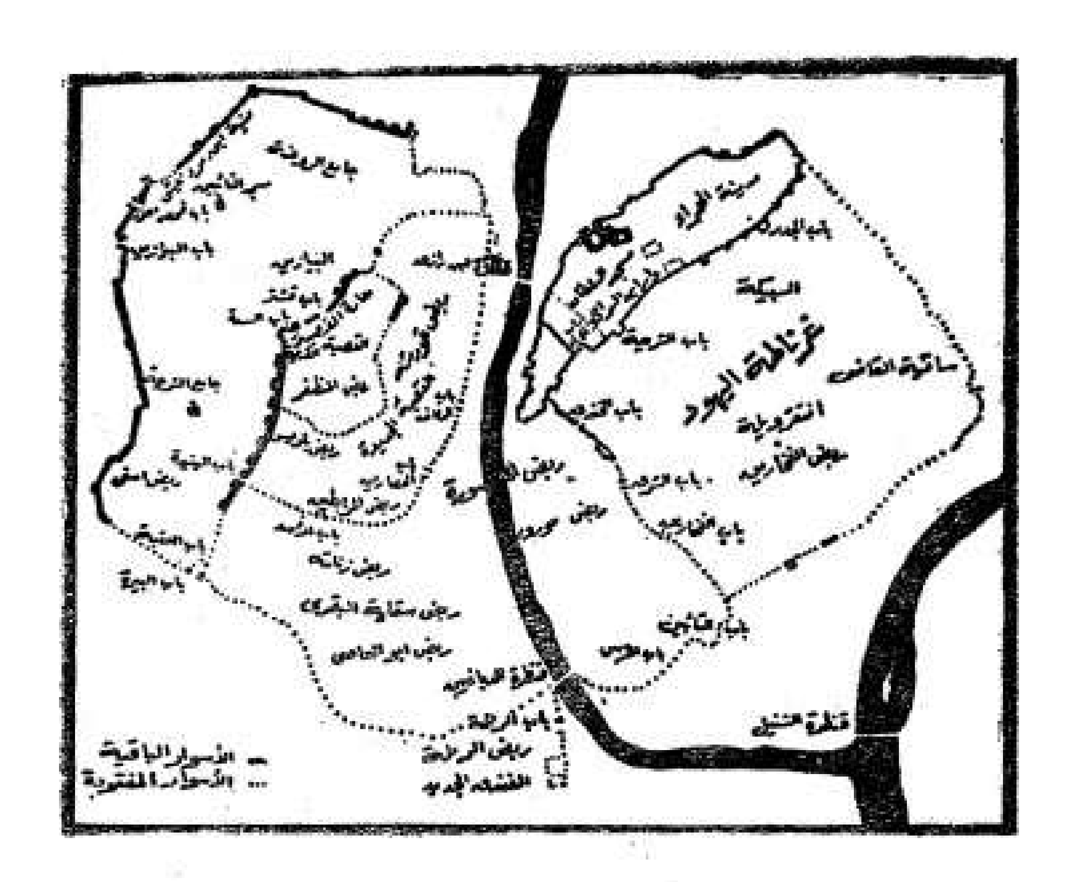
اليوم)، وفى عصرى الإمـارة والخلافة، كانت الحدود الشمـالية تصل إلى نهر دويرة، ثم تتصل مع حوض نهر إبرو . . وفـى عصر ملوك الطوائف انحدرت إلى مجرى نهـر آنة . . وفى عصرى المرابطين والموحدين لم تتعـد الحدود نهر الوادى الكبيـر، فيما عـدا الناحية الشرقـية التى ظلت كاملة تقـريبًا فى أيدى المسلمين حتى عام ١١١٨ أى إلى سـقوط سرقسطة. وفى عصـر بنى الأحمر ملوك غرناطة انحصـر الأندلس جنوبى نهير من نهيرات الوادى الكبـير يسمى نهر شنيل، وعلى نهـير من نهيـرات هذا الأخير يسمى حـدارة (دارو) قامت غرنـاطة ودخلت فى الأندلس الإسلامى الجـزائر المتوسطة فى غـربه المعـروفة بالبيار، وقـد خرجت هذه الجزر عن الأندلس بعد سقـوط بلنسية سنة ١٢٣٨ فى أيدى ملوك أراغون واحدة بعد أخرى . .

ثم ضاع الأندلس واستردته إسبانيا المسيحية (١٤٩٢).

* * *



الفصل الثانى
غرناطة فى
الفتح العربى



غرناطة فى العصر الاسلامى

لم تصل مدينة غـرناطة إلى مكانتهـا التى شهرت بهـا كعاصـمة لدولة الأندلس إلا فى أوائل القرن الخامس الهجـرى (الحادى عشر الميلادى)، وذلك حينما أدرك بنو زيرى الصنهاجيون (وكـانوا يحكمون فى قلعة بنى حماد، ثم فى بجاية) أن سلطان غرناطة قد بدأ يهوى. فاتصلوا بوزير هشام الثانى، عبد الملك المظفر ابن المنصور بن أبى عامر يعـرضون عليه خدماتهم، فكان الجواب مرضيًا. وسرعان ما رحلوا مع جماعة من رجال قبيلتهم وأعوانهم تحت زعامة زاوى بن زيرى. ويشاء حـسن الطالع أن تصبح هذه الجـماعة بـعد قليل أهم

طوائف الجيش البربرى الذى أنشأه بنو عامر. ولما مات عبد الرحمن سنشول، ناصروا قضية زعيم جماعة البربر فى الأندلس - وهو سليمان المستعين، وعملوا على أن يتولى الخلافة. وقابل سليمان هذا الجميل بأن أقطع رؤساء أتباعه الإقطاعات الكبيرة. وكان من أهمها إقطاع ناحية البيرة[١]. وقد اشتمل على الأراضى الغنية فى وادى نهر شنيل وكذلك على الهضاب الصخرية المجاورة.

اتفق معظم المؤرخين وجغرافيى الأندلسيين على جمال غرناطة وخصوبة سهولها، وكان بنو زيرى فى طليعة الذين أدركوا أهمية موقعها الخصيب، ولا سيما أميرهم «عبد الله». فلا عجب أن يتعاون الأندلسين والبربر على تشييد وإحياء مدينة غرناطة، كل يبنى له مسكنًا، ثم آلت البيرة إلى الخراب والإهمال.

لنرجع قليلاً إلى أيام الفتح الإسلامى الأول للأندلس. فقد ندب القائد موسى بن نصير ابنه عبد العزيز لفتح البلاد التى لم تخضع بعد له فى شرق الأندلس، وليفانت. فلما كان عبد العزيز فى طريقه لإخضاع إمارة مرسية (Orihuela) احتل مالقة وقطاع البيرة - غرناطة، وفى أعقاب ذلك تولى أبو الخطار الحسام بن الضرار إمارة القطاع (١٢٥هـ = ٧٤٣م). وأقطعه إلى أجناد دمشق السوريين. وكان شيوخ هؤلاء من المعاضدين للأمويين الذين عاونوا الأمير عبد الرحمن الأول حينما نزل بأرض الأندلس. وقد شاهدت كورة البيرة آنذاك النضال الدموى الذى وقع بين المولدين المخلصين للحكومة المركزية

(١) عرفت بهذا الاسم لأنها استمدته من المدينة القديمة البيرس. ثم احتلت جارتها غرناطة أهمية المدينة القديمة، وقد بدأت ضاحية يسكنها اليهود. .

الأندلسية وبين العـرب بزعامة سوار بن حمدون. وكـان هذا فى أثناء حصار منافسيه قصر الحمراء، وقد استطاع الخـروج من قاعدته بحركة جريئة، وأجبر الأندلسيين على الفرار عقب معركـة عرفت باسم «واقعة المدينة». ومن ثم لجأ الجنود المهزومـون فى خدمـة ابن حفصـون، الذى جمع شمـل بعض القوات وقصد إلى البيـرة ليستأنف النزال فى سهل شنيل، ودارت عـدة معارك مظفرة وفاشلة حتى فقد الأمل فى الانتصار على أيام الخليفة عبد الرحمن الثالث.

استـمرت المنطقة تعـرف بالبيرة أعـوامًا كثيـرة لأهميتـها المتفـوقة على غرناطة. وكانت تلك حـتى القرن التاسع الميلادى لا تتجاوز قـرية كبيرة ذات أسوار تقع على الشاطئ الأيمن لنهر درو عند التقـائه بنهر شنيل. وكان غالبية سكانها من اليـهود، وأقليتهم من المسلمين وليـس فيها أحد من المـسحيين - ولذلك عرفت بغرناطة اليهود. وكان أمامها - وعلى نشز صخرى يشرف على الضفة الغربية درو، قلعة قديمة سـميت بالحمراء، نظرًا لتشابه لون التربة التى أحاطت بها. وهذه الحمراء هى التى أصبحت بعد قرون قاعدة ملك النصريين آخر سلالة الملوك العرب الذين حكموا الأندلس.

غرناطة تقف على قدميها:

يرجع مولد غـرناطة الحقـيقى إلى القـرن الحادى عشـر الميلادى حـينما تصدعت وحدة الأنـدلس على أيام ملوك الطوائف والأمراء. ومن بين هؤلاء كان قائد من رجال المغرب اسمه زيرى بن مـناد. كان قد أتى مع نفر كبير من قومه الصنهاجـيين ثم وقعت الفتنة الكبرى أوائل القرن الحـادى عشر. وقامت الحرب الأهلـية بين قادة جـيوش الخـلافة وبعـد أهوال لجأ زيرى وابن أخـيه حبوس إلى غرناطة واتخذها عاصمـة له، فأعاد بناء أسوارها وأبراجها واتخذ

لنفسه ورجـاله فيها قصوراً ومـساجد[1]. وكانت غرناطة بنى زيرى تقوم فى السهل الفسيح الممتد بين تلى غرناطة. تل الحمراء شرقًا، وتل البياسين غربًا. ولا يزال جزء من أسوار هذه المدينة العتيقة باقيًا وهو الجزء الذى يشتمل اليوم على باب البيرة. ثم باب المنية (ويعـرف اليوم بباب مناية) ثم بوابة الموازين. وحينما تقابل كنيـسة السفادور فأنت فى مكان مسجـد غرناطة القديم. كانت أسوار غرناطة فى تـلك الأيام تصل إلى سفح الساكرومونـتى (الجبل المقدس) وهو جزء من تل البـياسين، ومن هناك كان السـور ينحرف شرقًا مـاراً ببيت عربى يعرف ببـيت الجباس الذى تقوم فـيه اليوم مدرسة الأبحـاث العربية فى غرناطة. . وبعد سير السور قليلاً يتـسلق السور سفح تلك الحمراء حتى يصل إلى الهضبة التى تقـوم عليها قصور الحمراء اليـوم. وعلى هذه الهضبة وضع بنو زيرى أسـاس تحـصينات الحـمـراء التى سـتصل إلى ذروتهـا بفـضل بنى زيرى. . وخلف هذه الأسوار قـامت غرناطة العـتيقة التـى يرجع الفضل فى إنشائهـا إلى اثنين من أمراء بنى زيرى الـصنهاجيين، همـا حبـوس بن ماكن (١٠١٩ - ١٠٣٨)، وباديس بـن حـبـــوس (١٠٣٨ - ١٠٧٣). ولا تزال أطلال قصـور بنى زيرى قائمة إلى اليـوم بالقرب من دار الجباس حـيث تقوم بقايا بعض دور عربية وبقايا الحمام الصغير (El Banuelo).

كـانت أهم أحـداث غرناطة أثـناء حكم بنى زيرى: حـصار الخلـيفـة المرتضى لها لطرد الزيريـين منها بيد أنه منى بهـزيمة منكرة واضطر إلى الفرار والالتجاء إلى قادش. وبعـد أن تحقق فوز الزيريين غيـر المنتظر، دعمت الأسرة أحـوالهـا، ولا سيـمـا على أيام إمـارتى حـبـوس وباديس بمؤازرة الوزيرين اليهوديين صمويل وابنه يوسف بن نجر الله.

---

(١) حسين مؤنس: غرناطة. مجلة العربى، العدد ٨٩، أبريل ١٩٦٦، ص ٧٥ - ٩٨.

وكان الأمـير باديس قـد بلغ من العمـر عتـيًا، وزادته الأحـداث تجاربًا وخبـرة، وكان يحس دومًـا أن هناك ما يهـدد أمن إمارته، فـبذل الكثـير من الأموال لدعم أسوار قـصبة غرناطة لتكون فى مأمن من هجوم أعـدائه حينما يتربـصون الفرص: أو رعـاياه المكبـوتين عندما يرفـعون راية العـصيـان ضد أميـرهم. والشىء الذى كان يجول بخـاطره، أن يمتنع داخل القصـبة ويدافع رجاله عنها حتى يستطيع الفرار ناجيًا بنفسه إلى أفريقيا.

غرناطة المرابطين:

وهنا حادث آخر يتصل بغرناطة على أيام آخر حكام الزيين: عبد الله بن بلكين حفيد باديس الذى يدأ حكمه وهو فى سن الطفولة. وما كاد يصل إلى سن الشباب حتى بدأت الدسائس والمؤامرات يدبرها رجاله ضده، بينما تتوالى الحـروب بينه وبين منافـسيـه من الأمـراء المسلمين المجـاورين، أو من الملوك النصارى. ولم ينج فى نهاية تلك الأخطار المشتـعلة فى داخل ملكه وخارجها من عـداوة المـرابطين الذين قـدمـــوا إلى الأندلس بدعـوة من بـعض أمـراء الطوائف. فأخذ يشيد الحصون ويدعم الأبراج، ويقوى الأسوار المتصلة بقصبة غـرناطة لكى يرد المرابطين بقـيادة يوسف بن تاشـفين. ولكن ما كـاد هؤلاء يصلون إلى خارج أسوار المدينة حتى نصحه الوزراء وأمه أن يقلع عن المقاومة فاسـتسلـم لرأيهم واتضح جبنه حـينما خـرج من القصـبة عن رأس رجـاله واستـقبل يوسف بن تاشفين، وأمـر بفتح أبواب غرناطـة، ثم قدم له الكنوز التى احـتوتهـا القصـبة هدية للأمـير الفـاتح! وكان ذلك فى عـام ٤٨٣هـ - ١٠٩٠م، وأخذ عـبد الله أسيـرًا إلى أغمـات فى المغرب، فانتـهى ملك بنى زيرى من غرناطة وأصـبحت المدينة منذ ذلك الوقت مع إقـليمهـا تكون جزءًا

هامًا من أمــلاك المرابطين فى الأندلس شأنهــا شأن غيــرها من مناطق إسبــانيا الجنوبية وبقــيت المدينة تحت ولايتهم حتى ٥٥١هـ - ١١٦٦م حــينما آلت إلى حكم الموحــدين. وفى ظل المرابطين كــبــرت غرناطة وازداد عــمــرانها حــتى أصبحت فى أيامهم والموحدين من بعدهم حتى القرن الثالث عشر الميلادى من أهم وأكبــر مدن الأندلس. فــاتخذها الأميــر أبو الطاهر تميم بن يوسف والى البلاد زمن شقيقه الأمير على بن يوسف مقرًا له.

كان أول حكام غــرناطة المرابطين أبا محــمد عبــد العزيز وخلفه الأمــير يحيى بن وســينو من أقرباء يوسف بن تاشــفين وجاء من بعــده أبو الحسن بن الحجيج الذى هاجمه ألفونسو السادس فى مدينا شيللى وانتصر عليه واستشهد أبو الحسن فى المعــركة وتولى الحكم بعد شــقيقــه أبو الحسن وهو محــمد بن الحــجيج الذى جــاء على رأس قوات غــرناطة لنجــدة والى أشبــيلية وكــانت مقاطعته قد هددها مرة أخرى ألفونسو السادس، وعلى مقربة من أشبيلية عند المقاطع أجبر على التقهقر بعد أن تحمل خسائر فادحة. وفى العام التالى يقابلنا أبو بكر بن يوسف فى تولية زعــامة المرابطين فلم يساعد أهل غــرناطة وقبض عليــه وأرسل إلى مــراكش. وفى أثر تلك المقــاومــة الفــاشلة جــاء على إلى الأندلس وبرفقــته شقــيقه الأكبــر أبو الطاهر تميم لينقضــيا على أثر للمقــاومة الفاشلة، وكان قــد عين شقيقه تميم بن يوسف والــيًا على غرناطة. وفى هذه الفترة لعبت غرناطة دورًا هامًا خلال الحملة التى بدأها ألفونسو الأول المحارب ملك أراجون ضد أمــلاك المسلمين فى عام ١١٢٥م، واستمرت خمــسة عشر شهــرًا تمكن خلالها بمعاونة نــزلاء غرناطة من المستعــمرين[١] أن ينشر الذعر

(١) د. محمد توفيق بلبع: غرناطة وقصر الحــمراء. المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٦ عام ١٩٦٩، ص ٦٧ - ١٠٠.

والخراب فى أملاك المسلمين، كـما تكن من مهاجمة غـرناطة وضرب الحصار عليها وكاد يقتـحمها لولا قوة تحصيناتها وشجـاعة المدافعين عنها والمدد الذى وصلهم من المغرب، مما اضطر المهاجمين إلى رفع الحصـار ومتابعة الحملة فى المناطق الأخرى الجنوبيـة، حتى وصلت جيوشهم إلى مـدينة أرينسول جنوبى غرناطة وعندها نشبت مـعركة كبيـرة بين قوات ألفونسو وجيـوش الأمير تميم التى كانت تتعـقبه[1] إلا أن ملك أراجون انتزع النصـر فى النهاية من أعدائه الذين الهتـهم الغنائم بعد تفـوقهم فى الضـربة الأولى (مارس سنة ١١٢٦). وفى أعقاب تلك الهزيمة أعفى تميم من منصبه فى غرناطة وخلفه أبو عمر عنا له أكبر أحفاد يوسف بن تاشفين وكان واليًا على فاس.

ولم يستـقر أبو عمر طويلاً فى عـمله فقد أقـاله على فى مايو ١١٢٨م وأجبر على العودة إلى مراكش. وكان والى غرناطة الجديد أبا حفص عمر بن على بن يوسف الذى خلع بعد أربعة أشهر. . . وكان آخر ولاة المرابطين على غرناطة على بن أبى بكر بن على ابن شقيقة يوسف بن تاشفين.

استمر اتساع العمران فى غرناطة فى زمن الموحدين، فقد بلغت مساحة المدينة المسورة فى القـرنين الحادى عشـر والثانى عشـر للميلاد مـا يقرب من خمسة وسبعين هكتاراً، وكانت تضم أكثر من أربعة آلاف وأربعمائة دار، يقيم فيها أكـثر من ستة وعشرين ألفًا وأربعـمائة نسمة[2]. . ثم جاءت الأيام التى اشتد فيها الهجوم المسـيحى على الموحدين فلم يستطيعوا عمل شىء. . والأثر الوحيـد الباقى فى غرناطة من عـصرهم، هو قصـر صغير فى أقـصى غرب

---

(١) المستعربون هم الإسبان المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام وتكلموا اللغة العربية.

(٢) Torres Balbas: A; Andalus, Vol, XXI, fasc. I, pp. r39 - r40.

المدينة يسمــونه اليوم قصــر نهر شنيل واسمه الأصــلى قصر السيــد إسحق بن يوسف بن عبد المؤمن[١] الذى ولاه الخليفة الموحدى المستنصر حكومة غرناطة سنة ١٢١٨/١٩م. فــشرع فى بناء هذا القــصر ثم شــيد فى مــواجهتــه رباطًا للعبــادة، وقد حول هذا الــرباط إلى دير نصرانى باسم دير ومــصلى القديس سباستيان: وقد استعمل القصر بعد ذلك دار ضيافة.

غرناطة بنى الأحمر (بنى نصر):

لا شك أن عظمــة غرناطة وازدهارها من الناحــية الفنيــة ترجع إلى بنى الأحمر، فــمع قدوم هذه الأسرة ومؤسســها محمد بن الأحــمر، استقر فــيها حكمهم من عــام ٦٣٥هـ - ١٢٣٨م حتى سقطت المدينة العــظيمة فى قبــضة الملكين الكاثوليكيين فــرناندو وإيزابلا فى عام ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م وكــانت فى خلال تلك المدة قاعدة آخر حكومة إسلاميــة فى إسبانيا. فإذا كانت قرطبة قد نالت قصب السبق كعاصمة للأمويين بالأندلس لمدة تزيد على القرنين ونصف القرن، وتبعتها أشبيلية لفترة أخرى تجاوزت المائة والستين عاما كحاضرة للبلاد زمن كل من المرابطين والموحدين فإن مدينة غرناطة استمرت من بعدها عاصمة لمملكة بنى نصر لفترة تتعدى المائتين والستين سنة[٢].

أصبحت غرناطة من سنة ١٢٣٨ معــقل الإسلام فى شبه الجزيرة فخف الناس إليها ألوفًا من المدن التى استولى عليهــا المسيحيون أو التى كانت مهددة بالسقوط. وفى أعوام قليلة عمر الناس كل تلك البياسين وانتشروا على السفح

---

(١) د. حسين مؤنس: غرناطة، مجلة العربى.

(٢) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٧٥.

الشرقى لهـذا التل الذى كان يعرف بمدرج السـبيكة وفى خلال خـمسين سنة تضاعفت أربع مرات.

فمـاذا فعل بنو نصـر فى غرناطة؟ لنبـدأ بأن نتعرف أولاً عـلى مؤسس مملكة غرناطة.. فهـو محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابـن الأحمر. كان قوى الشخصيـة عالى الهمة، له مقدرة فائقة على مـجابهة الأحداث والإفادة من الأخطار. دخل أسلافه الأندلس مع جيوش الفتح العـربى واستقر مقامهم عند حصن أرجونة إلى الشمال من غرناطة ثم أخذت أسرة ابن نصر منذ ذلك الحين تتكاثر وتزداد وتقـوى حتى آلت زعامـتها إلى مـحمـد هذا الذى عرف بالشيخ.

حينما تدهور نـفوذ الموحدين فى الأندلس فى بداية القرن الثـالث عشر الميلادى ولا سيما بعد اقتصار ألـفونسو الثامن ملك قشتالة وحلفائه من ملوك إسبانيا المسحـيين على محمد الناصر الخليفة الموحدى فى مـعركة العقاب سنة ٦٠٩هـ - يوليو ١٢١٢م[١] وجد عدد كـبير من زعماء الأنـدلس فرصة لشق عصا الطاعـة على الموحدين، فثاروا فى مناطق شتى بالبـلاد وحاولوا السيطرة على ما تحت أيديهم من أملاك الموحدين والاستقلال بها، وكان من بين هؤلاء محمد بن يوسف بن نصر، فنصـبه أهل أرجونة مسقط رأسه فى سنة ١٢٣٢م واليًا عليهم، ثم دخلت فى حوزته فى السنة التاليـة مدينة جيان. ولما قتل أبو عـبد الله مـحـمد بن يوسف بن هود فـى سنة ١٢٣٨م الذى ثار بدوره على الموحدين فى مدينة مرسية واتخذها عاصمة لمملكته فى شرق الأندلس. خشى أهل غرناطة بعد مقـتل أميرهم ابن هود على مدينتهم من الجـيوش النصرانية

(١) A. Huici Miranda: Las Grandes Batallas de la reconquista.

التى كانت تضغط بقـوة على أملاك المسلمين للاستيلاء عليـها، فاتصلوا بابن الأحمـر أثناء وجوده فى جـيان وبعـثوا إليه بيـعتـهم والدخول فى طاعـته: فاسـتجاب لرغـبتهم وانـتقل إلى غرناطة واتخـذها منذ ذلك الحين مقـامًا له وحاضرة لمملكته الجديدة[1].

وما وافت سنة ١٢٣٩م حـتى استـقر رأى محـمد بن نصـر على إنشاء حصن يحتمى به. وبعد أن استكشف بنفسه المنطقة المحيطة بالمدينة، استقر فى نهاية الأمر فى منطقـة السبيكة فى الجانب الشمالى الشـرقى من مدينة غرناطة حيث كانت تـوجد أطلال إحدى القلاع القديمة. ووضع ابـن الأحمر فى هذا الموضع المرتفع أسـاس حصنه الجـديد «قصـبة الحـمراء» ثم أمـر بإقامـة البناء والعمل عـلى إتمامه بسرعـة، وفى الوقت نفســه عمل على تدبـير الماء اللازم لقصره، فأمر بعـمل سد على نهر حدرة (Darro) لتؤخذ منه المياه وترتفع إلى الحصن بوساطة سواقى.

كان الحـاكم الجديد يوسع رقـعة مملكتـه على حسـاب المدن والإمارات المجاورة. فـضم مدينتى مـالقة والمرية وأحوازهمـا وشملت بعـد ذلك مدينة لورقة شرقًا. وواصل محمد بن يوسف طـوال فترة حكمه التى امتدت إلى ما يقرب من ست وثلاثين سـنة بعد دخول غـرناطة (١٢٣٨ - ١٢٧٣م)، يقاتل لتحقيق أهدافـه فى تأسيس دولة قوية عظيمة، مما أرغمــه على خوض معارك كثـيرة وخاصة ضــد بنى مرين أصحاب المغـرب للاستيلاء على أمـلاكهم فى المناطق الجنوبية من إسبانيا فانتصر عـليهم فى معارك كثيرة وبذلك دعم مملكته وذاعت شهرته فيما جـاوره من الأقاليم حتى وافاها الأجل فى عام ١٢٧٣م،

---

(١) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٧٧.

فخلفه ابنــه محمد الثانى الفــيه (١٢٧٣ - ١٣٠٢م)، فاستكمل بناء القــصبة (القلعة)، وأتم جانبًا كبيرًا من أسوار الحمراء.

تولى أمر الملمكــة من بعده ابنه أبى عبــد الله محمــد الثالث (١٣٠٢ - ١٣٠٨م) وكان من أعظم أهل بيته صيتًا وهمة: بيد أنه كان ظالمًا وقاسيًا فتآمر عليه أهل غرناطة وأقصوه عن الحكم ونصبوا شــقيقه أبى الجيوش نصر فدبرت له مؤامرة أودت بحياته حيث مــات غريقًا عام ١٣١٠م بعد سنتين من خلعه. ويرجع الفضل إليه فى بناء المسجد الجامــع بالحمراء وتزيينه وتجميله، وقد ظل هذا المسجد قائمًا حتى النصف الثانــى من القرن السادس عشر حينما أزيل فى زمن الإمبــراطور فيليب الثــانى ابن شارلمان، وبنى مكانه كنيــسة ســانت ماريا الحالية، كما شيد الأمير محمــد الثالث حمامًا بإزاء المسجد وجعله وقفًا عليه، وقــد تهــدم هذا الحــمــام وظلت أطلاله فى مــكانه أثرًا باقــيًــا تشــهــد على وجوده[1].

تعاقب على حكم غــرناطة بعد هؤلاء الثلاثة الأول ثمانيــة عشر سلطانًا (راجع الملحق) ساهم مــعظمهم فى إضافــة وتجميل مبــانى الحمراء وبســاتينها وخمائلها وقاعاتها، فأبدعوا فى زخرفها وزينتها، حتى أصبحت صورة صادقة لألوان الجمال وعنوانًا للنعم الموفورة التى عاش فيها ملوك غرناطة.

أهم ما نسجله عن امتداد المدينة ما ذكــره العلامة حسين مؤنس فى بحثه الممتع الذى ننقل منه:

كان السور الذى بنوه (بنو نصر) يحيط بتلى البياسين والحمراء ويسير مع السور الخارجــى القديم نحو الجنوب ثم ينحرف شــرقًا ويسير مــحاذيًا المجرى

(١) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٨٠.

القديم لنهر حدارة مارًا بميدان البـاب الملكى وينتهى عند مجرى نهر شنيل فى الشرق. كان هذا السور الضخم مدعمًـا بأبراج صغيرة تعرف بالبرانيات، ولا تزال بعض بقاياه قائمة. وكان الشارع الرئيسى للبلد هو نفس الشارع الرئيسى الحـالى المسـمى باسم الملكـين الكاثوليين، وكـانت الأسـواق تقع إلى غـرب الشارع: فـيما يعرف اليـوم بالقيسارية وحـول المسجد الجامع الذى كـان يقوم مكان الكاتدرائية اليوم، وكـانت الأسواق تمتد إلى مبانى الجامـعة الحالية. هنا أيضًا كانت الأحياء الشعبية وكانت تمتد حتى تل البياسين وتشمله.

والجانب الشرقى من غرناطة اشتمـل على أحياء الأمراء والأغنياء وكانوا يسكنون دورًا فسيحة تحيط بها الحدائق والبساتين. وقد تحدث كثيرًا لسان الدين ابن الخطيب وهو الطبيب والفيلسوف والكاتب والشاعر - فى كتابه «الإحاطة» عن العظمة والتـقدم اللذين بلغتـهما غرناطة فـأعطانا صورة لعصـره انطبعت مظاهرها على حـياة الناس وطرق مـعيشـتهم فى جـميع النواحى السـياسـية والحربية والدينيـة والثقافية والاجتـماعية، وكان الرخاء والثـراء والترف محور هذه الحياة التى بلغت من البذخ حدًا بعيدًا.

نهاية غرناطة الإسلامية:

وبالرغم من كل هذه النعـمة والـغنى والقوة، فـإن غرناطة لم تسـتمـر طويلاً بنعم الحياة الهادئة لأن حـرب الاسترداد الإسبانية التى تزعمـتها مملكتا قشـتالة وأراجون أخـذت تشتد على أطراف مملكة غـرناطة، مما أجبر جـميع مسلمى الأندلس إلى مغـادرة مدنهم واللجوء إلى أحواز العـاصمة وفى نفس لاوقت تنازع على النفوذ والـسلطان أفراد البيت المالك، مما دفع بعـضهم إلى طلب العون والمساندة من الممالك المسيحية لتحقيق أطماعهم الشخصية. لذلك

اضطربت أحوال البلاد وانحسرت حـدود المملكة الواسعة فى آخر الأمر داخل أسوار عاصمتها، فضربت جيوش الملكيين المسيحيين عليها حصارًا محكمًا فى جمادى الآخرة سنة ٨٩٦هـ - أبريل سنة ١٤٩١م، وكلما اشتد الحصار زادت نار الفتنة اشـتعالاً: ووجد اليأس طريقـه إلى قلوب الغرناطيين نتيـجة للجوع والغلاء. وفى النهـاية تآمر السلطان أبو عبـد الله محمد بن على بنفـسه على تسليم المدينة وقلعتها الحصينة، فى مـقابل شروط معينة أهمها: تأمين السكان وأموالهم ومتاعهم - إطلاق جـميع الأسرى من أهل غرناطة المسلمين - ترك الحرية للمسلمين لمزاولة شعائرهم الدينيـة فى المساجد - عدم التعرض لهم إذا رغبوا فى العبور إلى المغرب - إلى غير ذلك من الشروط.

أرسلت هذه الشـروط إلى ملك قـشتـالة فـوافق عليـها وطلب تقـديم خمسمائـة من كبار رجال المسلمين كرهائن، فأجيب إلى طلبه. فـتقدمت قوة مسيحـية إلى قصر الحمراء وتسللت إلى داخله دون مقـاومة. فتلقى السلطان أبو عبد الله محمد (الحادى عشر) قـائدها فى برج قماش وسلمه مفتاح القلعة فقط دون مفـتاح المدينة، فعاد القائد إلى مـعسكر سيده الذى كان يبـعد قرابة اثنى عشر كـيلو مترًا عن أسوار غـرناطة وصحبه والملكة إيزابيـلا إلى الحمراء فدخلها فـرناندوا وإيزابيلا مع جيوشهـما فى ٢ ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ - ٢ يناير ١٤٩٢م، فـأقيـمت مراسم احـتفال تـسليم المدينة ورفع العلم المسيـحى والصليب بعد أن أنزل العلم الغـرناطى فوق برج الحراسة الذى يتـوسط مبنى الفصبة القديمة باعتباره أكبر وأعلى أبراج الحمراء[1].

(١) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٨٠.

هكذا انتهى آخر مظهر من مظاهر السيادة الإسلامية بالأندلس بعد أن ظلت ما يقرب من ثمانية قرون خاضعة للمسلمين الذين سطروا خلالها سجلاً حافلاً بالمجد والرفعة فى جميع ألوان الحياة، مما يعد فخارًا للإسبانيين.

لقد أحب عرب الأندلس مدينة غرناطة وتفاخروا كثيرًا بها، ويذكر المقرى فى تاريخه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» - أن أحدهم قابل شنيل «مهر المدينة»، بألف نيل، فيقال:

وما لمصر تفخر بنيلها
وألف منه فى شنيلها

وتجدر الإشارة هنا أن حرف «ش» بالذات يدل على العدد ١٠٠٠ فى لهجة عرب المغرب!.

وبعد سبع سنوات نقض الملكان شروط التسليم، وأجبروا المسلمين الذين ظلوا فى مدينتهم على اعتناق النصرانية مما دفع أهل البيازين للثورة على حكامهم، ولكنهم أخذوا بقسوة شأنهم فى ذلك شأن جميع المسلمين، مما اضطرهم إلى الفرار للمغرب حيث نزلوا فاس وغيرها من المدن حتى خلت الأندلس من المسلمين! وفى الوقت نفسه ارتد المستعربون عن الإسلام وعادوا إلى المسيحية وعندما غادر غرناطة أبو عبد الله من باب القدور إلى منفاه، وأفل مجد أسرة بنى نصر أغلق الباب بأمر من الملك الإسبانى الكاثوليكى وملكته، بعد أن أمرا أن يبقى الباب مغلقًا دائمًا.

ومع ذلك فإن أثر حضارة العرب والإسلام ما زالت باقية فى جميع أنحاء إسبانيا تشهد بفضل هذا الدين السمح وحضارته الخالدة على بقعة فسيحة فى غرب أوروبا.



الفصل الثالث
الحمراء قبل القرن السابع الهجرى = ١٣م

غرناطة وآثارها الطائلة:

(١) المدخل الحالى لقصر الحمراء. (٢) الساحة الأولى.

(٣) أنقاض المسجد. (٤) دهليز.

(٥) ساحة المعشوقة. (٦) برج المعشوقة.

(٧) المنشور. (٨) ساحة قاعة الذهب.

(٩) قاعة الذهب. (١٠) ساحة قمارش أو الريحان.

(١١) قاعة البركة. (١٢) قاعة قمارش.

(١٣) الحمام الملكى. (١٤) ساحة الملكة.

(١٥) قاعات شارل الخامس. (١٦) برج الشرفات.

(١٧) حديقة. (١٨) منظرة.

(١٩) قاعة السيدات. (٢٠) ساحة الأسود.

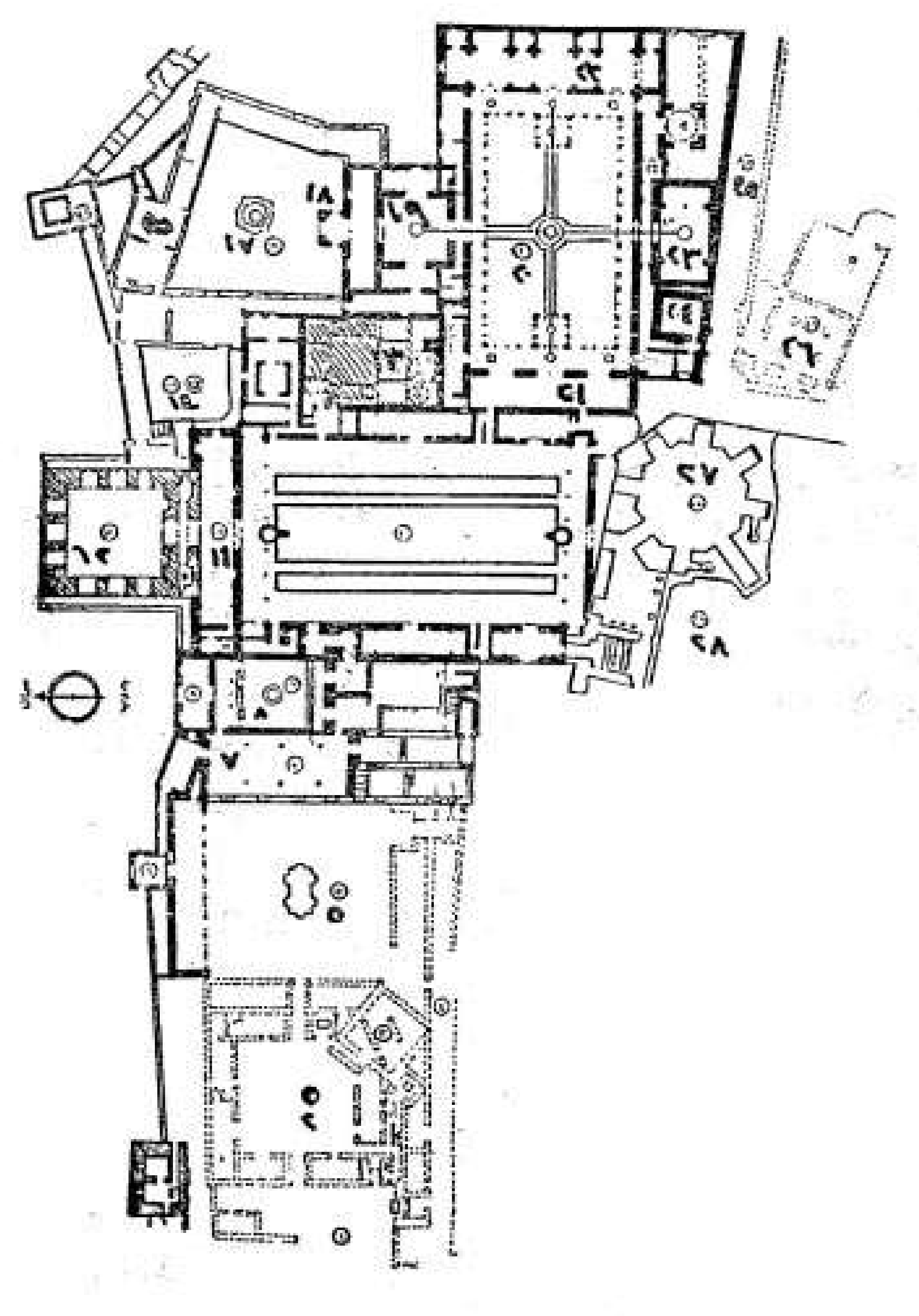
(٢١) قاعة المقربصات. (٢٢) قاعة الملوك.

(٢٣) قاعة بنى سراج. (٢٤) الجب.

(٢٥) الخندق. (٢٦) الروضة.

(٢٧) الكنيسة الجديدة وقصر شارل الخامس.

(٢٨) قصر شارل الخامس.



ـ مسقط افقى لقصر الحمراء ـ

الحمراء قبل القرن السابع الهجرى - ١٣م

تكاد تتفق كلمة معظم مؤرخى الحمراء، على أن هذا الاسم عرف به القصر فى نهاية القرن الثالث الهجرى المقابل القرن التاسع الميلادى. وكان يطلق على حصن صغير لجأ إليه العرب الفارون أمام الفلاحين الثائرين الذين طوردوا فى أثناء الفتن التى شبت خلال حكم الأمير عبد الله الأموى وكان هذا الحصن قد شيد عند طرف هضبة السبيكة الغربى. وفى أيام بنى نصر امتدت مبانى الحمراء فوق الهضبة كلها. وإن هذا الحصن الصغير الذى شيد فى نهاية القرن ٣هـ = ٩م، يغلب أنه هجر فى نهاية أيام الخلافة. وفى أوائل النصف الأول للقرن ٥ هـ = ١١م: أعيد بناؤه واتسعت أرجاؤه ففى أيام الوزير صامويل بن نجرلو اليهودى فيما بين ٤٤٣هـ = ١٠٥٢م، ٤٤٧هـ = ١٠٥٦م. ثم نهض الأمير الزيرى عبد الله بتحسينه، بعد أن تأثر بما شاهده فى قصر بليلوس المسيحى الذى استولى عليه.

ذكر هذا الحصن عدة مرات فى أثناء الصراع بين الأمراء الإسبانيين والمرابطين والموحدين. وقد كانت مساحته صغيرة، والدليل على ذلك أن فرق ابن حمشق اضطرت لأن تعسكر خارج أسواره. وتدل بعض مخلفات جدرانه وأبراجه المجاورة لمبنى الحمراء «الحديث» على ضعف بنيانه وبساطة مواده التى شيد بها.

ولما دخل محمد بن الأحمر غرناطة فى رمضان ٦٣٥هـ = مايو ١٢٣٨م أقام فى قصبة بنى زيرى التى كانت فى مدينة غرناطة نفسها. لكنه لم يدخر وسعًا فى إنشاء قصر الحمراء فى أسرع وقت مستطاع. وقد بدئ بالعمل فيه بعد أشهر قلائل من دخول غرناطة. وكان المبنى الجديد يختلف اختلافًا بينًا عن الحصن القديم، فى أغراضه وسعته وفخامته. فالحمراء أكثر من حصن وقصر معًا. إنه مدينة ملوكية كاملة، وقاعدة الحكومة النصرية، كما كانت مدينة الزهراء، والمدينة الزاهرة وقصبة الموحدين فى مراكش.

وكان فى مقابل الحى التجارى للمدينة: قصبة أخرى، عدل بناؤها وأضيفت إليه مبان أخرى لتسع حاجة النصريين بعد تأسيس ملكهم الجديد. ولقد احتوت بالإضافة إلى القصور الملكية، على المصالح الحكومية الإدارية ودار الضرب وثكنات الحرس وكبار الموظفين وكل ما يحتاج إليه الخدم والأتباع، وما يحتاج إليه أهل المدينة من المصانع والحوانيت والمسجد الكبير والحمامات..

وكان المنظر الطبيعى الذى يضم القصبة والقصر والمدينة كامل الروعة تطل جميعًا على نهر حدارة (دارو) عند التقائه مع نهر شنيل، وتل السبيكة أو الدور الصغيرة التى تفيد القصور. أما مشيد الأسوار الخارجية، فهو محمد الأول ومحمد الثانى. وفى القرن ٨هـ/ ١٤م فى أثناء حكم يوسف الأول (٧٣٣ - ١٣٣٣/٥٥ - ١٣٥٤) شيدت أبراج قمارش، وبرج المطرقة والقنديل، والأبواب الكبرى الثلاثة: باب الشريعة، باب الطباق الثلاثة، وباب السلاح. أما برج المتزين (Peinador) فقد أتمه السلطان محمد الخامس.

وعلى ذلك يمكن القـول بأن الأسـوار المحيطة بأعلـى الهضـبة أخـذت شكلها النهائى فى منتصف الـقرن ٨هـ - ١٤م وقد قنع السلاطين الذين تولوا الحكم بعد ذلك ببناء قواعد المدافع ضـد تهديدات ملوك النصارى خلال القرن الخامس عـشر، وقد شـيدت تلك المصاطب (الـقواعد) عند أسـفل البوابات الثلاث الكبرى.

وثلاثة من أبواب الحـمراء وهى: الشـريعة، والطبـاق الثلاثة، والقـمم المسننة، تؤدى إلى الخارج (تفتح على الخارج). أمـا باب السلاح، فهو وحده الذى يصل الحمراء بالمدينة.

ولأبواب الحمراء نسب معيارية ضخمة من كتل المبانى الحجرية وتتضمن الدهاليز المقباة ذوات الانثناءات والتعرجات الكثيـرة وأحيانًا تتقاطع وهى تعتبر من أرقى نماذج الأبواب فى العمارة العسكرية. ولبـاب الشريعة وهو خال من الأبراج عقد جميل ودعامات عالية.

أما الأبواب الأخرى فلا تختلف كـثيرًا عن معظم الأبواب الكبرى التى شيدها الموحدون أو المرينيون فى مراكش، ولا سـيما عندما يكون لها برجان. وللأسوار الخارجية العالية ممشى للحرس له دورة تعلوها الشرفات. ولا يخفى أن توزيع الأبراج فى الأسوار غير متساو، فهى مـقامة عند مسافات مختلفة: وتتوسط المسافة بين البرج والآخر قرابة خمسين مترًا.

قلنا أن لبعض الأبراج طباقًا عالية وهذه تشـتمل على قاعات كبيرة، من أهمها قاعـة العرش أو قاعة السفراء التـى تشغل الطابق العلوى فى برج مربع وكبير. ولهذه القاعة ومثيلاتها نوافذ كبيرة تطل على غرناطة وعلى البرج.

وعند هذا النشز الرائع تنتهى جبال سييرانفادا. ولقد تغنى شعراء غرناطة بجمال هذا الموقع الخلاب الذى يجمع الجبال والوديان والسهول والأنهار والغابات، تتوسطها الهضبة التى ارتفعت عليها مبانى الحمراء. تلك الهضبة التى امتدت طولاً قرابة ٤٧٠ مترًا، وعرضًا حوالى ٢٢٠ مترًا.

بدأ العمل فى تشييد قنطرة كبيرة لنقل المياه من الجبال المجورة إلى الهضبة، وكانت المياه متوافرة فى كل مكان بالمدينة وفى قصور النصريين.. الماء.. الماء الذى خلق الله منه كل شىء حى. والمعروف أن جميع مبانى الحمراء لم ينته العمل منها فى أيام محمد بن الأحمر بل انتهت فى أيام ابنه الأمير محمد الثانى (٦٧١ - ٧٠١ / ١٢٧٣ - ١٣٠٢) ومنذ ذلك الحين لم يغير ملوك النصريين قاعدتهم الفخمة حتى غادروا نهائيًا عام ١٤٩٢م.

والحمراء قبل أى شىء حصن منيع. إن هذا الحصن ذا الأسوار والأبراج المنيعة الذى يحيط بالحمراء من أقوى وأروع ما عرف فى فن العمارة الحربى، إنه وحده يستحق العناية والدراسة. والفناء الكبير الذى تضمه الساحة فى الداخل والذى ينحدر على كلا الجانبين من الهضبة، كان مقسمًا إلى ثلاثة أجزاء: فإلى الغرب يقع مجمع من التحصينات المترابطة المتماسكة: أعنى القصبة وفى أعلى جزء كانت تقع مبانى قصور الحمراء، وعلى السفوح المنحدرة للهضبة والتى تمتد فى ناحية الشرق كانت تقع مدينة غرناطة.

حصن الحمراء وأسواره:

فى طرف التل، المواجه Vega تقع القصبة حصنً منيعًا، مستقلة تمامًا عن بقية الحمراء. اشتملت على مساحة كبيرة كأرض لتدريب الجند للعرض، أقيمت فيها بعض الدور الصغرى بعد ذلك، ويحيط بهذه المساحة سور منيع

مثلث الشكـل، ويشتمل على سـتائر من الجدران المرتفـعة، تكتنفـها الأبراج وتدعمها ثلاثة أبراج شـامخة ومقباة وإلى الشرق سـور خارجى آخر. ولهذه القصبة بوابتها الكبرى المؤدية إلى الخارج.

أما الأسوار التى تحيط بقـصور الحمراء كلها والتى تكملها القصـبة طبعًا فى ناحية الغرب فـهى منيعة ومشيدة بالحجارة القـوية وتتألف من جدار واحد فقط. وهذه الأسوار عالية: تكتنفـها الأبراج الكبرى وعددها ثلاثة وعشرون. أبراج كبيرة، الطابق العلوى لمعظمها يحتوى على الردهات وسنجمع فى الثبت الآتى أبراج الحمراء:

أبراج الحصن (القصبة) المحيطة بالحمراء:

نذكر فيما يلى أهم أبراج القصـبة وأبوابها، ويلاحظ أن أسماءها ليست من وضع الأندلسيين، ولكن أطلق الإسبان هذه الأسماء عليها.

١ - برج الحراسة (تورى دى لافيلا).

٢ - باب السلاح.

٣ - برج التكريم (تورى أوميناخ).

٤ - البرج المهدوم (تورى كيبرادا).

٥ - برج الدراق (تورى دى أدارجيرو).

٦ - باب الشريعة

٧ - باب النبيذ.

٨ - برج المطرقة.

٩ - بهو قمارش.

١٠ - برج قمارش.

١١ - برج متزين الملكة (بينا دور دى لارينا).

١٢ - برج النساء (تورى دى لاس داماس).

١٣ - برج البرطل.

١٤ - برج القمم المسننة (تورى دى لاس بيكوس).

١٥ - باب الحديد.

١٦ - برج القنديل.

١٧ - برج الأسيرة (برج أبى الحجاج).

١٨ - برج الأميرات (تورى دى لاس انفانتاس).

١٩ - برج الماء.

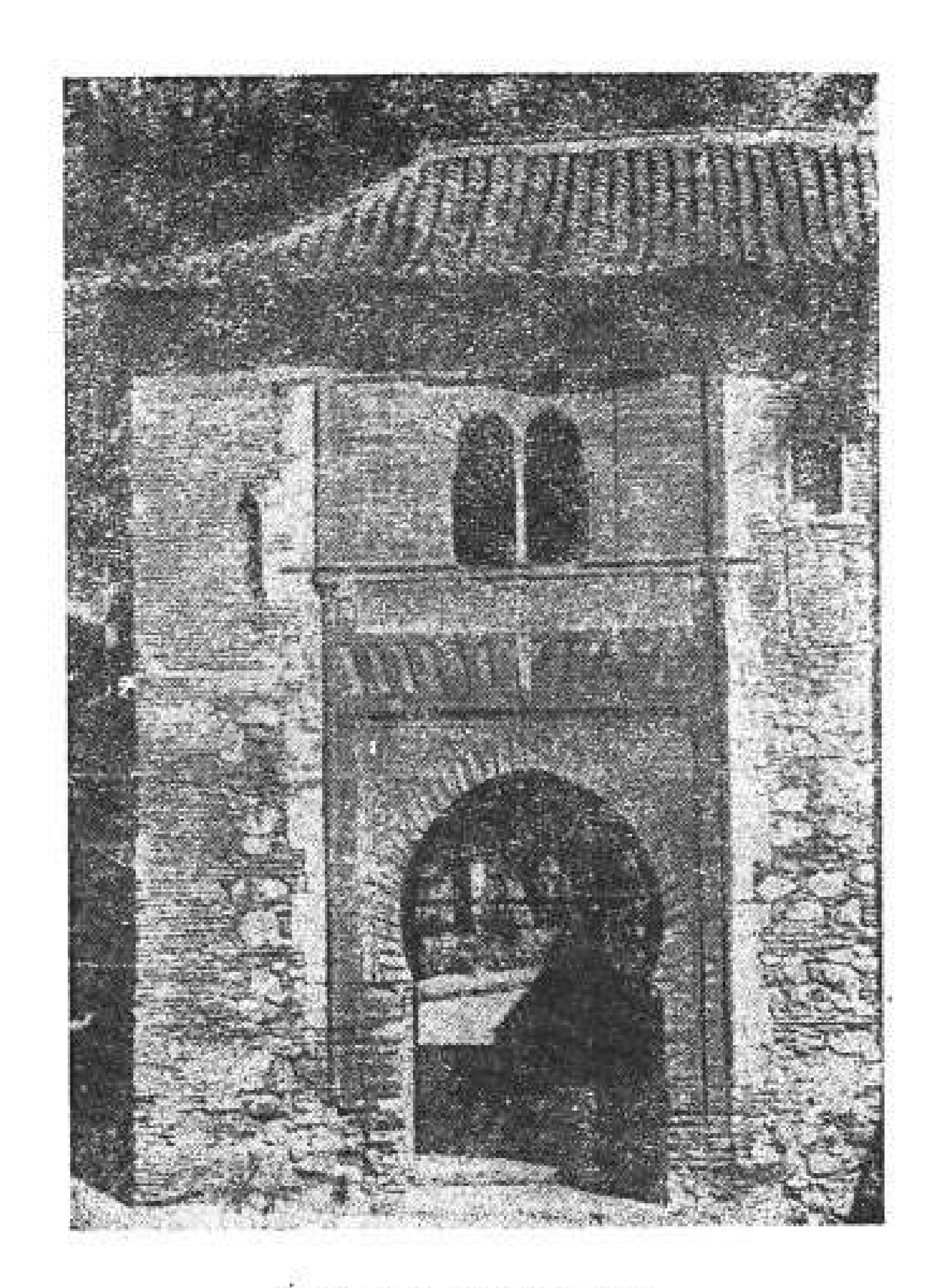
٢٠ - برج الطباق السبع (تورى دى سييتى سويلوس) أو برج الغندور.

٢١ - برج الطليعة (تورى دى لا أتاليا).

٢٢ - برج الرءوس (تورى دى لاس كابيثاس).

نقوش برج الأسيرة:

احتفظ هذا البرج من خـارجه بمظهره الأصلى وله باب فخم نقش على عتبته هذه الكتابة:



الواجهة الغربية لباب النبذ

«. . الباسل أبى عبد الله الغنى بالله، ابن مولانا أمير المسلمين السلطان الجليل، الملك الأصيل، ذو المحامد والمناقب، والعطايا الجزيلة والمواهب، الحامى الديار، القامع أعداء الله الكفار، أبى الحجاج ابن مولانا السلطان المعظم». وفى إحدى غرف البرج، نقرأ الآية الكريمة: «إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا. .».

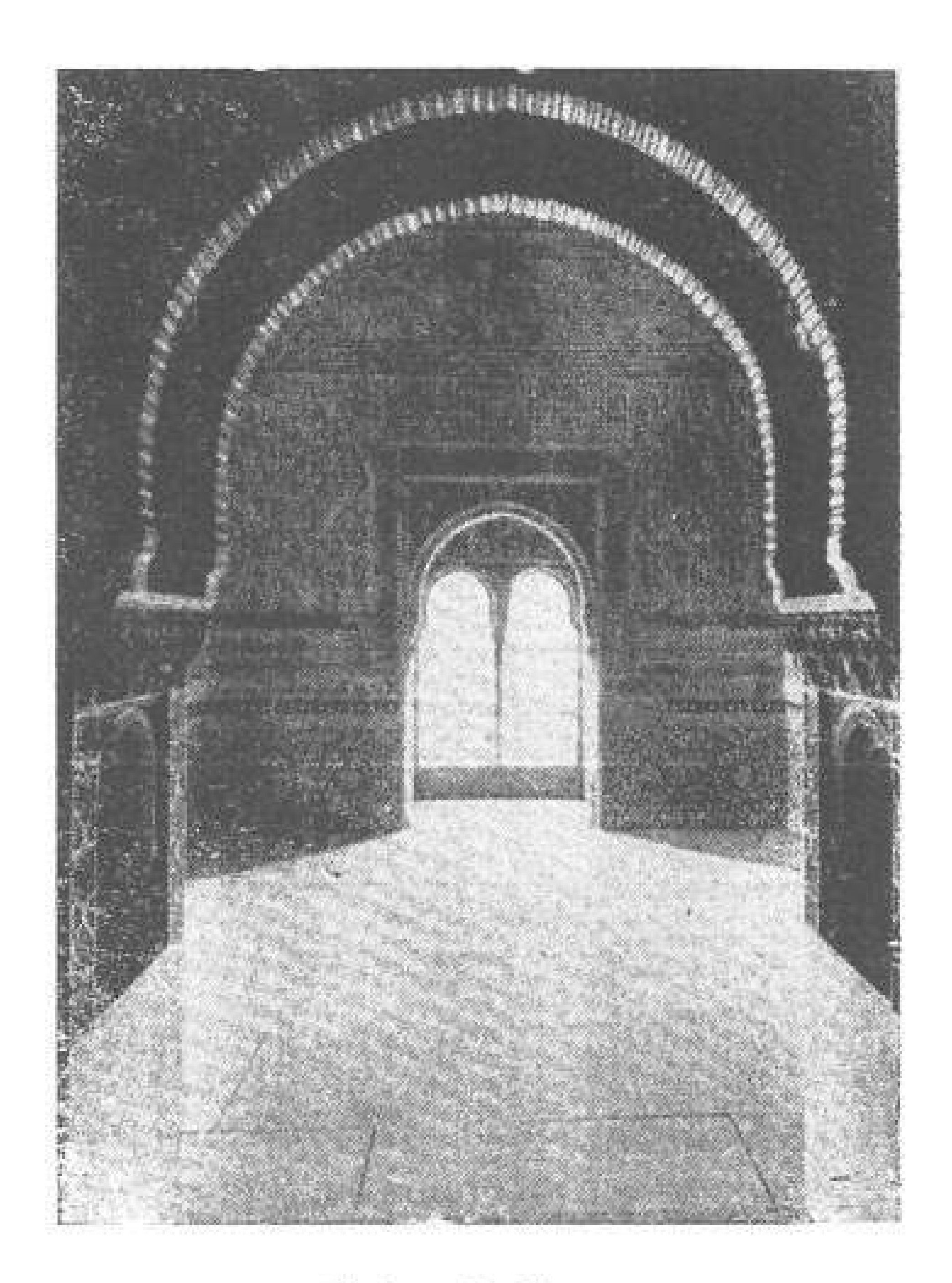
وفى البرج الذى يليه من ناحية الشرق، وهو برج الأميرات نقوش بالدعاء للسلطان أبى عبد الله المستغنى بالله وهو على الأغلب السلطان محمد الغنى بالله.

والمعروف أن تلك المجموعة الرائعة من التحصينات التى شيدها السلاطين النصريون لم تهاجم، فقد كانت الغزوات النصرانية ضد غرناطة تقف أمام أسوار المدينة الخارجية دون أن تتعرض للهجمات العنيفة أو للحصار القوى. حتى نصل إلى الحصار الأخير الذى أدى إلى سقوط غرناطة فى ١٤٩١/ ١٤٩٢ وتسليمها إلى الملكين الكاثوليكيين فى ٢ يناير ١٤٩٢م. وفى أعقاب لتسليم، دخل فرديناند وإيزابيلا إلى الحمراء فى ٦ يناير. ويمكن القول بأن حصون الحمراء وقصورها سلما من التخريب والتدمير إلى حد كبير.

باب الشريعة:

باب الشريعة هو المدخل الرئيسى لقصر الحمراء اليوم. نقش على قوسه سطران، كتب فيهما بخط أندلسى متشابك، العبارات الآتية:

«أمر ببناء هذا الباب المسمى باب الشريعة، أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله فخرًا باقيًا على الأيام، مولانا أمير المسلمين السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبى الوليد ابن نصر



برج الأسيرة من الداخل

كافى الله فى الإسلام صنائعه الزاكـية وتقبل أعماله الجهادية، فـتيسر ذلك فى شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمائة، جعله الله عزة وافية وكتبه فى الأعمال الصالحة الباقية. .».

يقابل هذا التاريخ ٧٤٩هـ سنـة ١٣٤٨م، والسلطان يوسف أبو الحجاج هو أعظم سـلاطين مملكة غـرناطة، (حكم من ١٣٣٣ - ١٣٥٤) وقـد شيـد أفخم أجنحة الحمراء وأجملها.

ووراء باب الشريعة مجاز معقـود، به فى الناحية اليمنى محراب، وفى نهايتـه مصلى وقد صنعت به لوحة رخـامية أشيـر فيها إلى حصـار غرناطة، وتسليمها للملكين الكاثوليكيين، فرديناند وإيزابيلا فى ٢ يناير ١٤٩٢م.

ثم نصل إلى باب الخمر وهو اسم مستحدث:

ويتـوج هذا الباب نص تاريخى يتـضمن اسـم السلطان الغنى بالله ابن السلطان أبى الحجاج الذى شيد باب الشريعة.

وعند خروجنا من باب الخمر، نجد أنفسنا فى ميدان الجب، وعلى يميننا قصـر شارل الخامس الذى هدم من أجل إقـامته جـانب من قصور الحـمراء. وعلى اليسار نشاهد قصبة الحمراء.

قلنا إن معظم مبانى الحمراء القائمة اليوم، يرجع الفضل فى إنشائها إلى السلطان أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد إسماعيل سابع سلاطين بنى نصر. وهو الذى شيد أيضًـا باب الشريعة (المؤدى إلى الشارع) ومنه نعبـر إلى ساحة الجب (صهـريج المياه) وباب الشـريعة بوابة يتـمثل فيـها الأسلوب المعـمارى العربى يرتفع قـرابة خمس عـشر متـرًا يؤدى إلى وسط مبانى الحـمراء، إلى



باب الشريعة

الميدان الواقع بين القسم الحربى من مبانيها أى الأبراج، والقسم المدنى وهى الدور والحدائق ودواوين الدولة.

وللأستاذ الدكتور حسين مؤنس رأى فى تسمية باب الشريعة فهو يرى أن المقصود بالشريعة هنا ليست الشريعة الإسلامية، بل المقصود الشارع (الطريق).

يدخل الزائرون - اليوم - إلى قصور الحمراء عن طريق ممر يشبه المنزل يؤدى إلى دهليز قصير، ومعه تصل إلى قاعة المشور.

وهذا الجزء الذى ندخله، لم يكن أهل غرناطة يدخلون منه لأن القاعة التى تعرف الآن بالمشور كانت وسط سلسلة من القاعات والأبهاء، تهدمت كلها. وكان أهل غرناطة يدخلون من باب آخر فى نهاية ميدان الجب.

قصور الحمراء:

إن قصور الحمراء التى يحظى العالم بمشاهدتها ليست هى التى شيدت فى القرن ٧ هـ - ١٣م، تلك خربت فى القرن الثامن، لتقوم فى مكانها هذه القصور المستحدثة التى بقيت إلى اليوم. وهناك مجموعة من مبانى الحمراء، كانت تقع فى الغرب ودمرت منذ زمن وقد كشفت التنقيبات منذ سنوات عن أسسها، ويبدو منها فناء مربع، تطل عليه عدة قاعات صغيرة، وإلى جانبها مسجد (مصلى) صغير. وهذا المسكن الساذج نسبيًا كان يتبعه ساحة كبيرة عرفت بساحة المطرقة، يحده شمالاً سقيفة تؤدى إلى ردهة كبيرة تقع فى أعلى أحد الأبراج المتصلة بالسور المحيط بالحمراء.

تلك هى مجموعة المبانى التى اندثرت. أما القصور الحالية فتتألف من

مجوعـتين أخريين، شيد كل مـجموعة حول مـساحتين على محـاور عمودية كبـرى. فالمجمـوعة الأولى وهى دور قمارش يـسبقهـا بهو المشور، وسـاحة صـغيـرة، وقـد شـيد البنـاء السلطان يوسف الأول (٧٣٣ - ٥٥/ ١٣٣٣ - ٥٤). أما المجموعة الثانية فهى قصـر السباع وقد شيده محمد الخامس (٧٥٥ - ٩) (١٣٥٤/ ٨) و(٧٦٩ - ٩٤هـ) / (١٣٦٨/ ٩٢). وهـنـاك بـعـض الحمـامات القديمة ومسـجد يصل بين المجمـوعتين المذكرتين اللتين شـيدتا فى القرن الرابع عشر.

المشور:

تم إنشاء المشور سنة ١٣٦٥، كما تشهـد أبيات للوزير ابن زمرك شاعر الحمـراء[١] وهو المكان الذى خـصص فى القصـر للموظفين الذين يعـاونون السلطان فى إدارة شئون دولته. لقد تغيرت سماته الرئيسية ولم يبق منها سوى بعض زخارفه الجصيـة وفسيفسائه الرخامية وفى شـعار بنى الأحمر وبعض ما تبقى من النقوش العربية وأهم ما تبقى من المشـور، قاعته الكبرى وفيها نقش باسم السلطان محمد الملقب بالغنى بالله، تضمنته أبيات الشعر التالية:

يـا منـصب المـلك الـرفـيـع
ومـحـرز الـشكل الـبـديع
فـتـحـت للفـتح المـبين
وحـسـن صنـع أو صـنيـع

(١) نظم ابن زمرك قصيدة رائعة تتناول الحمراء، تـعتبر من أجمل ما نظم الشعراء فى وصف المبانى، جاء نصها فى كتاب «أزهار الرياض» للمقرى جـ٢ ص ٦٥ وما بعدها.

أثر الإمـــــام مـــحـــــمـــد

ظل الإلـه علـى الجـــــمـــــيع

وتوجد خلف هذه القاعـة «مصلى» تحتفظ إلى اليوم بمحرابهـا الجميل، وتتـوجه عـبـارة منقـوشة بخط كـوفى: «أقـبل على صـلاتك ولا تكن من الغافلين».

وفى المشور «القاعة المذهبة» نسبة إلى الزخارف المذهبة التى ازدانت بها. وهناك ساحة إلى جنوبها تقع سقيفة تحتها بابان: الأيسر منهما يؤدى إلى قاعة صغيرة تقود الزائر إلى بهو الريحان، والباب الأيمن يؤدى إلى المدخل الأصلى للقصـر وقد سدت مـعالمه اليوم، وفـوق الباب ذى الدفـتين طراز من الخشب نقشت عليه تلك الأبيات:

منصـــبى تاج وبابـى مـــفـــرق

يحـــسب المـغـــرب فى المشـــرق

والـغنـى بالله أوصـــــــانـى أن

أشـــرع الفـتـح لفـتـح يطرق[1]

فــــأنا مـنتظـر طلعـــــتـــــه

مـثل مـا يبـــدى الصـبـاح الأفق

أحـــسـن الله له الصنع كـــمـــا

حــــــــسـن الخلـق لـه والخلـق

(١) قرأ أحدهم الكلمتين الأخيرتين بالسيف المعلق.

وأبيات ابن زمرك التى وصف فيها قاعـة المشور، تعتبر الوصف الوحيد الباقى بين أيدينا لهذه القاعة، كما كانت عندما فرغت من إنشائها يد الفنان:

به البهـو قد حـاز البهاء وقـد غدا

به القـصر آفـاق السـماء مـباهيـا

وكم حلة قـــد جللتـه بحلـيـهـا

من الوشى تنسى السـابرى اليمـانيا

وكم من قسى[1] فى ذراه ترفعت

على عـمـد بالنـور باتت حـواليـا

فتـحسبـها الأفـلاك دارت قسيـها

تظل عـمـود الصـبح إذ لاح باديا

سـوارى قـد جاءت بكل غـريبـة

فطارت به الأمـثـال تجرى سـواريا

به المـرمـــــر قـــــد شـف نوره

فيـجلو من الظلماء مـا كان داجـيا

إذا مـا أضاءت بالشـعـاع تخالهـا

على عظـم الأجـرام منهـا لآليـا

(١) هى أقواس صغيرة قامت عليها قبة سقف المشور وقد زالت تلك القبة الآن.

ساحة الريحان[1]:

إنها أعجب ما فى الحمراء جميعًا، تتوسطه بركة مستطيلة وأحواض تحف بجوانبها أشجار الريحان، بناها محمد الخامس ونقشت فى زوايا ساحة الريحان العبارة الآتية: «النصر والتمكين، والفتح المبين لمولانا أبى عبد الله أمير المؤمنين». والآية: «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم».

ونقشت على االفريز الرخامى الأوسط للساحة قصيدة من اثنى عشر بيتًا ركيكة، بها أغلاط كثيرة لأنها من صنع محدث، نقلت تحت إشراف الأثريين الإسبان فتسربت إليها عند النقل أغلاط كثيرة. وفيما يلى مطلع القصيدة:

تبارك من ولاك أمر عباده

فأولى بك الإسلام فضلا وأنعما

فكم بلدة للكفر صبحت أهلها

وأمسيت فى أعمارها متحكما[2]

ومنها عن يمين الباب الشمالى المؤدى إلى البهو المجاور:

---

(١) Patio de Alberca - Patio de los Arrayanes.

(٢) يلى هذا البيت، الأبيات الآتية:

وطوقتهم طوق الاسار فأصبحوا

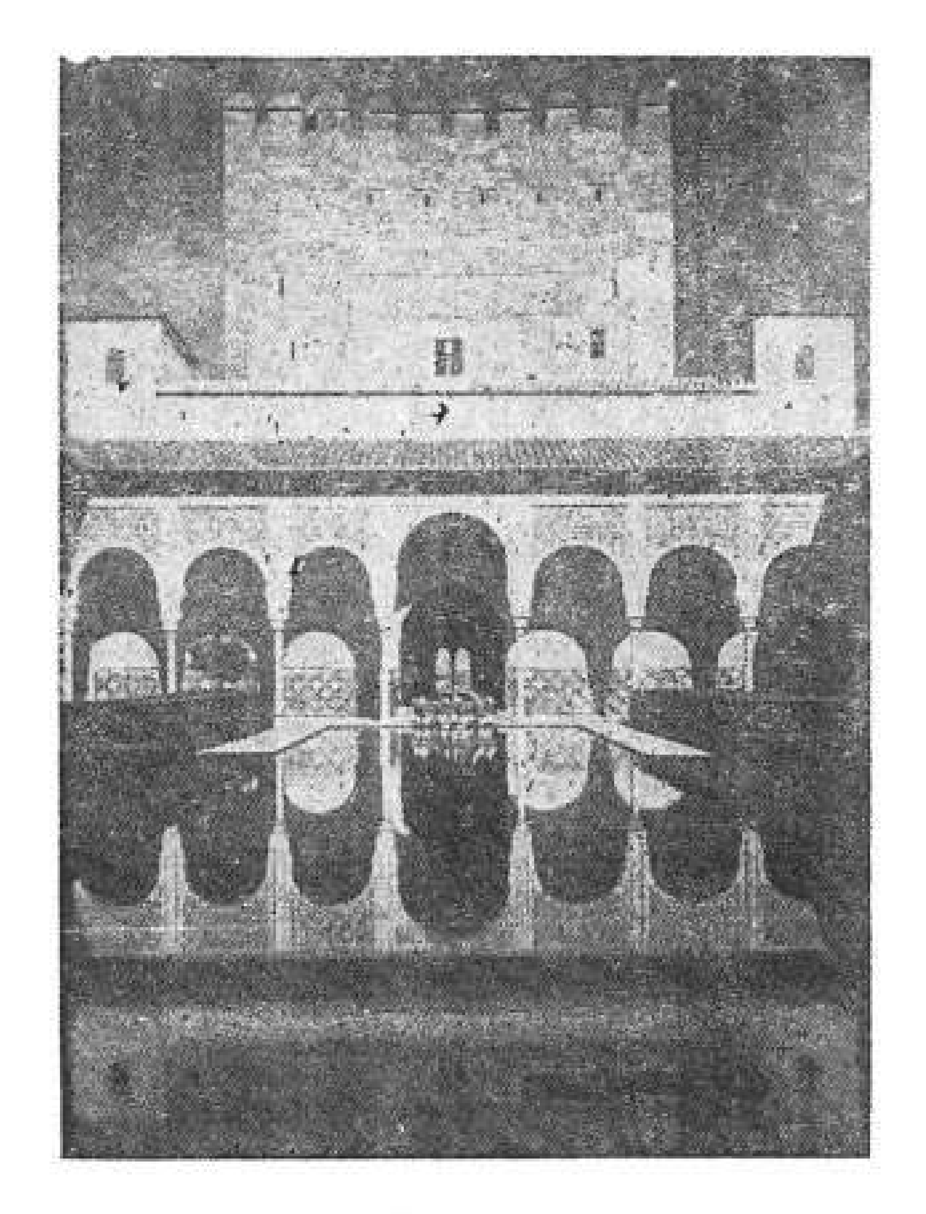
ببابك يبنون القصور تخدما

وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة

ففتحت بابا كان للنصر مبهما

ومن قبلها استفتحت عشرين معقلا

وصيرت ما فيها لجيشك مغنما



ساحة الريحان

ولو خـيـر الإسلام فـيـمـا يريده

لما اخـتـار إلا أن تعـيش وتسلمـا

وتلـك آثارها فـى كل مكـرمـــة

أبدى وأوضـح بدرا إذا انتـظمـــا

وعن يسار الباب:

فـيا ابن العلى والحلم والبـأس والندى

ومن فـاق آفـاق النجـوم إذا أنتـمـا

طلـعت بأفـق المليـك رحــمـــة

ليـجلو مـا قـد كـان بالظلم أظلمـا

فأمنت حـتى الغصن من نفحة الصـبا

وأرهبت حتى النجـو فى كبد السـما

فـإن رعـشت زهر النجـوم مـخيـفـة

وإن سـال غصن البـان شكرك يمـا

وقد نقشت فوق الأبيات وتحتهاا عبارة: «لا غالب إلا الله» باستمرار.

ويفضى باب ساحة الريحان الشمالى إلى بهـو صغير يسمى بهو البركة، به قبلة زينت بنقوش جميلة، وقد نقش على جانبها الأيمن:

أنا مـــــجـــــلاة عــــــروس

ذات حـــــسـن وكـــــمـــــال

فانظر الإبريق تعرف
فضل صديقى فى مقال

واعتبر تاجى تجده
شبها تاج الهلال

وابن نصر شمس فلك
فى ضياء وجمال

دام فى رفعة شان
آمنا وقت الزوال

وعلى جانب القبلة الأيسر:

وأنا فخر لصلاة
سمت سمت السعادة

تحسب الإبريق فيها
قايما يقضى عبادة

كلما تفرغ منها
وجفت فيها الإعادة

وبمولاى ابن نصر
شرف الله عباده

قد نماه سيد الخز
رج سعد ابن عباده

ويفضى بهو البركة من الناحية الشمالية، إلى أعظم أبهاء الحمراء وهو:

بهو السفراء أو بهو قمارش(1):

أروع ما فى هذا البهو زخارف قمته التى احتفظت بنقوشها الأصلية، أما نقوش الجدران، فمع جمالها ليست إلا تجديدًا مقلدًا لنقوشها القديمة، وقد نقشت فى عقد باب بهو السفراء العبارات الآتية: «الحمد لله على نعمة الإسلام، وعز لمولانا أبو الحجاج عز نصره».

ونقشت الأبيات الآتية فى جانب العقد الأيمن بعد عبارة «الحمد لله»:

فقلت الحسان بحليتى وبتاج

وهو إلى الشهب فى الأبراج

يبدو إناء الملك فحى كعابد

فى قبلة المحراب قام يناج

ضمنت على مر الزمان مكارمى

ذى الاوام وحاجة المحتاج

فكأننى استقربت آثار الندى

من كف مولانا أبى الحجاج

لا زال بدرًا فى سمائى لايحا

ما لاح بدر فى الظلام الداج

---

(1) يسمى أيضًا قاعة السفراء، وقمارش جمع إسبانى للفظ قمرية، وهى المنور الصغير المزين بالزجاج الملون.

ونقشت الأبيات الآتية على جانب العقد الأيسر بعد عبارة «الحمد لله»:

وقمت أتأمل صانعى ديباجى

من بعد ما نظمت جواهر تاج

وحكيت كرسى العروس وزدته

إنى ضمنت سعادة الأواج

من جاءنى يشكو الظماء فموردى

صرف الزلال العذب دون مزاج

فكأننى قوس الغماء إذا بدا

والشمس مولانا أبو الحجاج

لا زال محروس المهابة ما غدا

بيت الإله مثابة الحجاج

ونقش فى الدائرة العليا للبهو، العبارة الآتية مكررة: «عز لمولانا السلطان أبى الحجاج».

ونقشت فى أسفل مدار القبة بحروف بيضاء نص سورة تبارك كلها وأولها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ③ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④﴾. ونهايتها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ㉘ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ

وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠) ﴾.

وعلى جدار المشـرفيـة، وهو الجدار الشمـالى للبهـو نقرأ هذه العـبارة منقـوشة فى أعلاه: النـصر والتمكـين والفتح المبين لمولانا أبى الحـجاج أمـير المسلمين نصره الله» مكررة مرارًا.

ونقش فى محيط البـهو شعار بنى نصـر: «لا غالب إلا الله». ونقشت الأبيات الآتية فى إحدى فجوات القبة السفلى:

تحـيـيك منى حـين تصـبح أو تمسى

ثغور المـنى واليمن والسـعد والأنس

هى القـــبـــة العليـــا ونحن بناتهـــا

ولكن لى التفضيل والعز فى جنسى

جـوارح كنت أتقلـب لا شك بينهـا

وفى القلب تبدو قوة الروح والنفس

وإن كـان أشكالى بـروح سـمـايهـا

فـفى عـدا مـا بينهـا شـرف النفس

كـــســـانى مـــولاى المؤيـد يوسف

مـلابس فـخـر واصطـناع بلا لبس

وصـــيـــرنى كـــرسى ملك فـــأيدت

علاه بحق النور والـعرش والكرسى

ونقشت فى الفجوات الأخرى مقابل هذه الأبيات العبارة الآتية: «النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبى الحجاج أمير المسلمين أيد الله أمره وعز نصره».

ويؤدى بهو البركة من جهته اليمنى إلى فناء سفلى يعرف بفناء السرو، وقد استحدثه الإسبان وزرعوا فيه بعض أشجار السرو، وإلى جانبه يقع جناح الحمامات السلطانية.

حمامات الحمراء:

يعتبر حمام الحمراء، الواقع إلى جانب السرو، قرب بهو البركة، من أروع الحمامات العربية، فهو تحفة فنية رائعة تتواكب مع فتنة الحمراء. وتشتمل هذه الحمامات على ثلاثة أقسام: الاستراحة، والغرفة الدافئة والغرفة الساخنة. أما الاستراحة، ويسميها الإسبان قاعة السريرين، فتتألف من سريرين أقيما بالطوب فى جانبى القامة، وكسيا بالقراميد ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران متجاوران، يقومان على ثلاثة عمد، غاية فى الدقة والرشاقة، اثنان على الجانبين لصق الجدارين، والثالث فى الوسط، وأمام السريرين نافورة مياه، وتعتبر هذه الردهة - وفى العادة - استراحة، يجلس فيها السلطان قبل أن يمضى إلى الغرفة الدافئة، ومن المحتمل لكى يخلع فيها ملابسه، فضلاً عن أنها بعد الفراغ - من الحمام، يجلس بها السلطان بعض الوقت قبل مغادرته.

أما القسم الثانى من الحمامات فهو الغرفة الدافئة وتلى الاستراحة مباشرة، وفيها نجد حوضًا كبيرًا، تتصل به أنابيب سفلية، علاوة على أنابيب

أخرى بالحوائط لتدفئة المكان، وكلها تتصل من الجهة الأخرى ببيوت النار، وذلك بطريقة فنية محكمة بالإضافة إلى أنبوبة مستقلة تنشر العطر فى جو الحمام(١).

ويلى هذه الغرفة، الحجرة الساخنة، وبها هى الأخرى حوض كبير تعله كوة فى الجدار، وبها فتحتان، كانتا فيما مضى منبعًا للماء بنوعيه الساخن والبارد، وبهذه الكوة قشت قصيدة من ستة أبيات، من نظم الشاعر ابن زمرك، وهذه الأبيات هى:

أعجب شىء حادث أو قديم

مرابض الأسد ببيت النعيم

من أسد قابله مثله

قاما لدى المولى مقام الخديم

تقاسما وصفى علاه فمن

باس له جام وجود عميم

يفيض ذا عذبا برودا وذا

ضد له فهو يفيض الحميم

هذا وكم من عجب عاجب

يسره سعد المقام الكريم

(١) د. محمد كمال شبانة: شواهد من الفن المعمارى الأندلسى فى عصر السلطان أبى الحجاج يوسف (٧٣٣ - ٧٥٥هـ). منبر الإسلام، يوليو، ص ١٥٩ - ٦١٤.

من كـــأبى الحـــجـــاج سلطـانا

لا زال فى نصـــر وفـــتح عـظيم

وبهذه الحمامات بعض النقـوش الخطية الأثرية بنى نصر «ولا غالب إلا الله» ومنها حكم سائرة من مثل «الله عـدة بكل شدة»، ومنها دعاء لمنشئ هذا الجناح من الحمـراء مثل: «عـز لمولانا أبى الحجاج» ومنهـا آيات كريمة كـقوله تعالى: «نصر من الله وفتح قريب».

وتشير بعض النقوش والزخارف الكتابية إلى دور ابن الحجاج فى إكمال ما نقص من بنيان هذا الحمام.

قاعة الأختين:

تقع شرقى بهو (فناء) البركة قـاعة الأختين، ونصل إليها من باب الفناء الشرقى من رواق مظلم وقـيل أنها سمـيت بهذا الاسم لاحتواء أرضـها على قطعتين متساويتين وفريدتين من الرخام. وقد نقش عند مدخلها بالخط الكوفى «ولا غالب إلا الله» مـكررة، ونقشت هذه العـبارة أيضًـا حول جدرانـها فى أسفل وأعلى، ونـقش تحتهـا بعض الأبيات المقـتبسـة من قصـيدة الوزير ابن زمرك[١].

ويحيط بقـاعة الأخـتين عدة شرفـات، الشرفة الرئيـسية تـسمى منظرة داراشا أو ليـندراشا ويقال أن الأولـى تحريف لدار عائـشة، والثانيـة لعين دار عائشة[٢].

(١) نفح الطيب: جـ٤ ص ٧٠٥ - ٧٠٩ طبعة بولاق، تراجع القصيدة كاملة.

(٢) المقصود من «عين» هنا - المنظرة (د. مؤنس)

بهو الأسود:

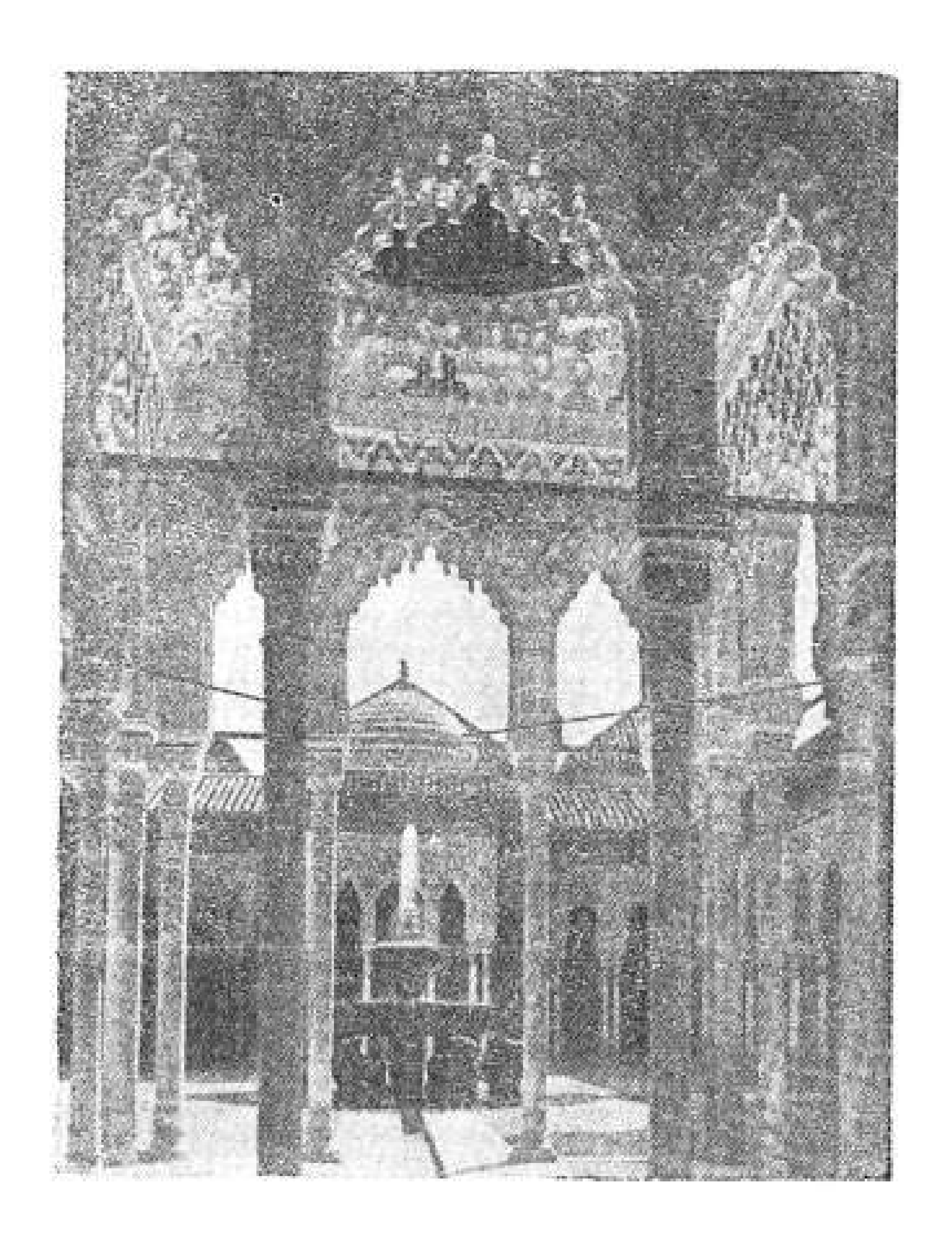
وتؤدى قاعة الأختين من بابها الجنـوبى إلى أروع أجنحة الحمراء - بهو الأسود أو بـهو السـباع. وقد أنـشأه السلطان مـحمـد الغنّى بالله الذى تولى السلطنة فى عـام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م وتوفـى سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، ويقـابلنا اسمه فى كثير من مواضع هذا الجناح.

وشاءت الظروف أن يظل هـذا القصر سليـمًا لم يلحـقه التدمـير الذى أصاب العمائر الإسلامية بالأندلـس عقب استرداد المدن الإسلامية وذلك لأنه اتخذ مسكنًا للملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيـلا عقب سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م فى يدهما[١].

وزائر هذا البهو يصل إليه من باب صغير مفتوح فى الجدار الفاصل بينه وبين بهو الريـاحين (البركة) الذى كـان المقر الرسـمى لسلاطين بنى الأحـمر حيث كانت تقام حفلات الاستقبـال فى قاعة السفراء ببرج قمارش على الفناء المشتمل على بركة مستطيلة محاطة بشجر الريحان فإذا عبرنا هذا الباب وجدنا أمامنا بهو السباع وهو القصر الخاص بسكنى السلاطين. شيده السلطان محمد الخامس (١٣٥٤ - ١٣٥٨ - ١٣٦١ - ١٣٩١)، كما تدل على ذلك النقوش الكتابية التى تزين الجدران.

البهو عـبارة عن فناء يحيط به ممر ومن خلفه القـاعات والغرف. الفناء مسـتطيل تبلغ أبعـاده - ١٢٦ × ٧٣ × ٢٢,٥ قدمًـا وتتوسطه نافـورة بلغت شهرتها الآفاق وهى نافورة السباع. وهى تبدو كقطعة كبيرة من الرخام قطرها

(١) جمال محرز: بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة. المجلة التاريخية المصرية.



ســاحة السباع

٥,١٠ قدمًا وعمقها قدمان ويدور حـول حافتها العليا من الخارج نقش عربى فى أبيات من الشعر لابن زمرك سنذكرها فيـما بعد. ويحمل هذه القصعة اثنا عشر أسـدا ارتفاع كل واحد منهـا قدمان ونصف تمج الماء من أفواههـا حيث تنسـاب فى قنوات تصل إلى نافورتين إحـداهما بغـرفة ابن سـراج والأخرى بغرفـة الأختين، كما تصـل أيضًا إلى نافورتين أسفـل الكشكين وبكل كشك نافورة من الرخام.

ويصل الماء إلى قـصر الحمـراء من نهر حدرة، وهو عـمل هندسى راق يدل على براعة المهندسين المسلمين إذ استطاعوا أن يرفعوا الماء من أسفل الجبل إلى قمته فأحالوا تلك المنطقة إلى جنة خضراء.

ويحيط بالبناء عمـد تبلغ ١٢٤ عمودًا موزعة حولهـا فرادى أو مثنى أو ثلاث أو رباع، وجمـيعـها من الرخـام الأبيض، ويبلغ طول العمـود الواحد عشرة أقدام، وتمتاز برشاقتها، وتقرأ أحـيانًا فوق تيجانها عبارة «ولا غالب إلا الله» شعـار بنى الأحـمر. وبالفناء كـشكان، كشك بكل ضلع، وارتفـاع كل منهمـا ٢٩ قدمًا، ويتكون من ١٢ عـقدًا من المقرنصـات يحملها ٢٠ عـمودًا ذوات تيجان مزينة بنقوش كتابية ومزخرفة بالجص المخرم. وقبة الكشك نصف كروية ومزخرفة بمتشابكات من نجوم وأشكال متعددة الأضلاع.

ومن خلف هذين الكشكين والأعمدة المقامة حول الفناء ممر عرضه ٧,٥ قدم، ويدور حول الفناء ومن ارتفاع واحد كورنيش من الخشب المزخرف الذى يحمل الحائر (الرفرف) المجمول على كوابيل مزخرفة.

وفى الفناء طائفـة من النقوش التى كتـبت بالخط النسخ أو الكوفى على الجدران والعمد والنافورة، وسنذكرها:

نقش شعار بنى نصـر «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفى، فى الجانب القـبلى خلف العمـد، وفوق تاج كل عـمود من العـمد التى تحـمل القـبة، وكذلك على رءوس جـميع العمد الأخـرى. ونقشت العبـارة الآتية على كل عمود ثان «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله».

ونقش على العمد التى تحـمل القبة المواجهة (البـحرية) «ولا غالب إلا الله» ونقش على رءوس العمـد فى المجموعتين الأخـريين «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله».

وإلى جانب هذه الأدعية التى تمجد ذكـرى أبى عبد الله منشئ هذا البهو نقشت قصيدة فوق دائرة قصـعة النافورة التى تحمل الأسود، وتضم اثنى عشر بيتًا، وهى للوزير الشاعر ابن زمرك[1]:

تبـارك من أعطى الإمـام مـحمـدا

مـغـانى زانت بالجـمـال المغـانيـا

وإلا فـهـــذا الروض فـيـــه بدايع

أبى الله أن يلقى لهـا الحسن ثانيـا

(١) أبو عـبد الله مـحمـد بن يوسف بن زمـرك (١٣٣٣ - ١٣٩٠) ولد فى رياض البيـازين بغرناطة، وزير من كبار الشعراء والـكتاب بالأندلس، ولد بغرناطة، وتتلمذ للسان الدين بن الخطيب، جعله محمد الخامس الغنى بالله صـاحب غرناطة كاتم سره، نكب ثم أعيد إلى مكانته فأساء إلى بعض رجال الدولة، قتل فى داره رافعًـا المصحف وقتل معه خدامه وبنوه. وكان قـد سعى فى أسـتاذه لسـان الدين حتى قتـلوه خنقًا، فلقى جـزاءه. جمع السلطان ابن الأحمر شعره وموشحاته فى مجلد ضخم سماه «البقية والمدرك من كلام ابن زمرك»؛ وانتـشر الكتاب فى الأندلس والمغرب؛ ونقل عـنه المقرى وأطال فى نفح الطيب وأزهار الرياض.

ومنـحــوتة مـن لؤلؤ شق نـورها

تجلى بمرفض الجـمـان النواعـيـا

يذوب لجبن ســال بـين جـــواهر

غدا مثلها فى الحـسن أبيض صافيا

تشــابه جــار للعــيـون بجـــان

فلم نـدر منهـمـا كـــان جـــاريا

ألـم ترى أن الماء يجـرى بصفحـها

ولكنهــا مـدت عـليـه المجـــاريا

كـمثل مـخب فاض بالدمع جـفنه

وغص بذاك الدمع إذ خاف واشـيا

وهل هى فى التحقيق غـير غمامة

تفيـض إلى الآساد منهـا السواقـيا

وقد أشبهت كف الخـليفة إذ غدت

تفـيض إلى أسـد الجـهـاد الأياديا

فـيا من رأى الآسـاد وهى روابض

عداها الحـيا عن أن تكـون عواديا

ويا وارث الأنصـار لا عـن كـلالة

تراث جـلال يسـتخف الـرواسيـا

عليك سلام الله فأسلم مخلدا

تجدد أعيادا وتبلى أعاديا

وفى منتصف الجانب الجنوبى من بهو الأسود، يقابلنا مدخل قاعة بنى سراج. تلك الأسرة الغرناطية التى كان لها دور هام فى نهاية تاريخ غرناطة الإسلامي.

قاعة بنى سراج:

تعلو القاعة المستطيلة قبة مضلعة وفى جوانبها كوات صغيرة، وقد نقشت فى دائرة القبة الوسطى عبارة «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفى، ونقش فى دائرتين فى الجهتين اليمنى واليسرى، بيت شعر من نظم ابن زمرك:

فتحسبها الأفلاك دارت قسيها

تظل عمود الصبح إذ لاح باديا

ونقش فى جدار الصدر فى مواجهة الداخل هذان البيتان من نظم ابن زمرك:

تبيت له كف الثريا معيذة

ويصبح معتل النواسم راقيا

وتهوى النجو الزهر لو ثبت به

ولم تك فى أفق السماء جواريا

وفى وسط القاعة حوض نافورة مستدير من المرمر وكان لها منفذ آخر يواجه مدخلها، فسده الإسبان.

قاعة الملوك:

وفى الناحيــة الشرقيــة لبهو الأسود، مــدخل قاعة الملوك وتعــرف أيضًا بقاعــة العدل. ومدخلهــا عقد مــثلث الجوانب، وبها ثلاث عــقود أو حنايا، رسمت فى سقــف الحنية الوسطى منها صور عــشرة فرسان مسلمــين يلبسون العــمائم، ويجلســون على الوسائد، وتتــسم هيئــاتهم بالوقار ويقــال أن هذه الصــور لملوك غرناطة الــعشــرة الذين تولوا الحكم قــبل أبى عبــد الله، أولهم محمد الغنى بالله، وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبى عبد الله.

منظرة اللندراخا:

وفى شمال قاعة الأختين، وشــمال بهو الأسود، تقع منظرة اللندراخا. نشاهد فى عقد المدخل فجوتين، نقشت بينهما عبارة «ولا غالب إلا الله».

ونقشت فى كل منهما أربعة أبيات، تبدأ اليمنى منهما:

كل صنــع أهدى إلى جــمــــاله

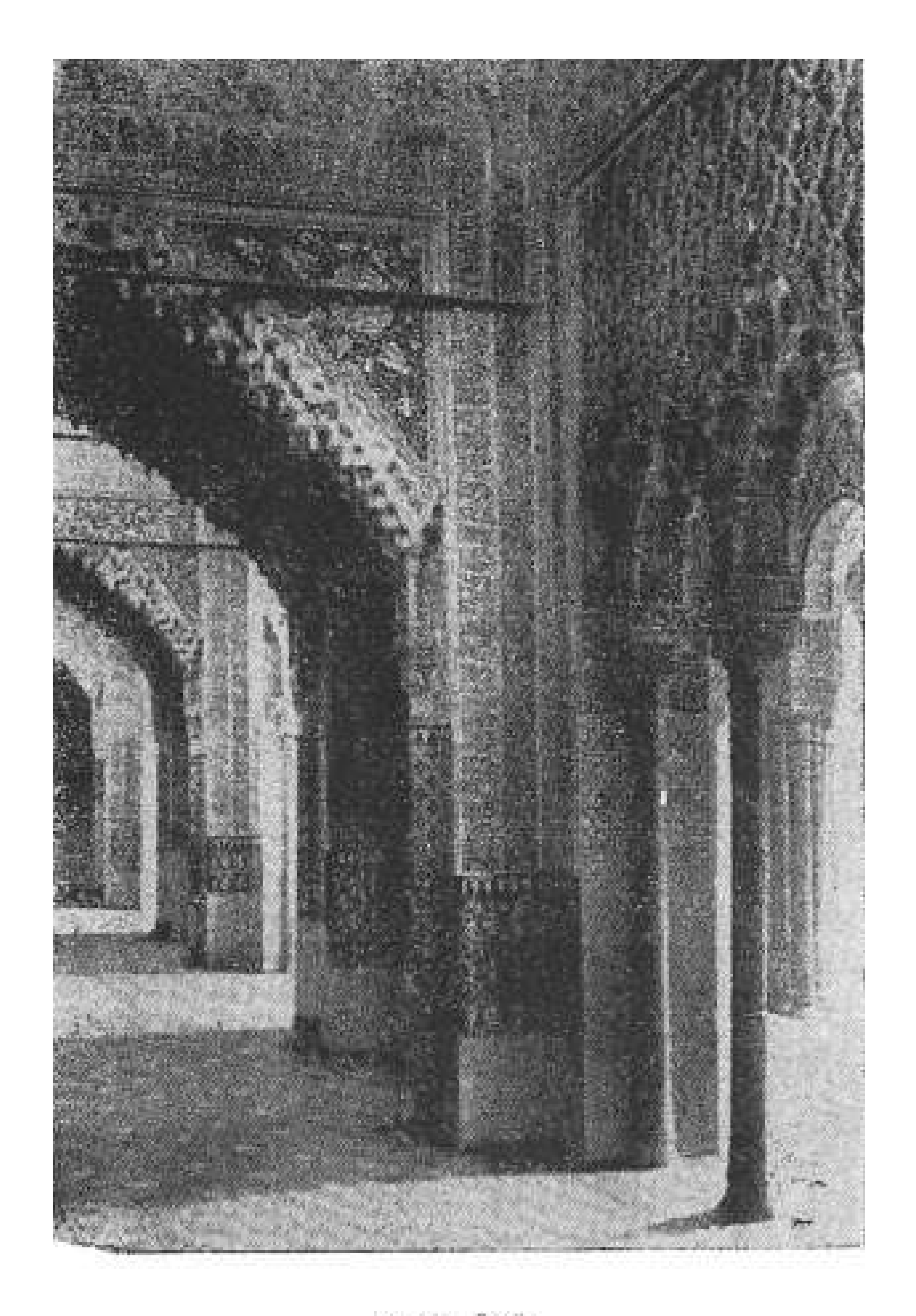
وحــــبــــانى بــهــــاءه وكــــمــــاله

من رآنــى يظــننــى كــــــــالدنــى

تخطــب الإبريق تبـــــغى أن تنــاله

فــإذا مـــبــصـــرى تأمل حــــسنى

أكــذب الحــسن بالعــيــان خــيــاله



قاعة الملوك

ونقرأ فى الفجوة اليسرى:

لست وحدى قد اطلع الروض منى

عـجـبــا لـم تر العـيـون مــثـاله

ذاك صـرح الزجـاج من قـدر رآه

ظـنـه لجـــــــــــة تروح وهـالـه

كل هذا صنـع الإمـام ابن نصــر

حـــــرس الله لـلملوك جــــلاله

آله فى الـقـديم حـــازوا المعـــالى

وهـــم آووا الـــــنـبـــــى وآلـــه

ونقش تحت هذه الأبيـات «عز لمولانا السلطان أبى عـبد الله بن مـولانا السلطان أبو الحجاج».

ونقشت حول النافذتين اللتين بالرواق، قصيدة من اثنى عشر بيتًا:

وجـاء بها يراد الـهواء نسـيـمهـا

فـصـحت هواء والنسـيم قد اعـتـلا

وقد حـزت من كل المحاسن غـاية

تقبس عنهـا الشهب فى الأفق الأعلى

وإنى بهـــذا الـروض عين قـــديرة

وإنســان تلك العين حـقًـا هو المولى

مـحــمـد المحــود بالبــأس والندى

وذو الصيت ما أعلى وذى الهدى ما أملى

تجـلـى بـأفـق المــلـك بـدر هـدايـة

فـــــآثاره تـعلـى وأنواره تجــــــلا

ومــا هو إلا الـشــمس حلـت بمنزل

أفىء عـليــــه كـل خـــيـــــر بـه ظلا

يطالـع منى حــضـــرة الملـك كلمــا

تجلى بكرسـى الخـلافـة مـا اســتـجلى

ويرسل طرف الطرف فى ملعب الصـبا

فـيــرجع مـرتاح المـعـاطف قــد كـلا

منـازل فــــيــــهــــا للـعلون مـنارة

تقـيـد منهـا الطـرف أو تعـقل العـقـلا

وأبدى بهــا أفق الزجـاج عـجــائبـا

تخط على صـفح الجـمـال وتسـتـمـلا

تعــدد فـيـــهـا اللون والنـور واحـد

فإن شـئت قل ضد، وإن شئت قل مـثلا

ونقش على صـحن نافورة اللنـدراخا قـصيـدة من تسعـة عشـر بيتًـا، مطلعها:

أنا حـــــــقــــــا فـلم المـاء بدا

لـلأنام ظـاهرا لـم يحـــــــجـب

لجـــة عظـيـــمـــة ســاحـلهــا

من بـديع المرمـــــر المنتـــــخب

متزين الملكة:

بقى أن نذكـر أن هناك رواقًا بين قاعـة الأختين وبين منظرة الـلندارخا، بهب باب يؤدى إلى ساحـة مستطيلة، أنشئت أيام الإمـبراطور شارلمان، وفى هذه الســاحة بابان يفـضى كـلاهما إلى الطبـقة العـليا التى تقع فـوق جناح الحمامـات، ويتصل بهذه الساحة رواق ضيــق يؤدى إلى «متزين الملكة»، وهو جناح علوى صـغيـر يقع فى نهاية الطرف الشـمالى للـحمراء، تحت الـبرج المســمى «برج المتـــزين»، وهو برج يرجع إلى عـصـر السلـطان يوسف أبى الحجاج، ويحتـوى متزين الملكة على بهو صغيـر منخفض السقف، أنشئ فى القـرن السادس عـشر بـعد سـقوط غـرناطة، ورسـمت على جدرانه صـور وزخارف مـسيحـية، وتطل شرفـة المتزين على مديـنة غرناطة وعلى مرجـها الساحر.

الروضة:

وتقع فى خارج الحمراء خـرائب «الروضة»، أو مدفن ملوك بنى نصر، وهى واقعة فى جنوب شرقى فناء السباع، وعلى مـقربة من كنيسة سانتا ماريا التى شيدت فوق مرتفع مسجد الحمراء[1]، كان يقع مسجد الحمراء فى وسط

(١) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٥ - ١٧٦.

الهضبة، جـنوبى الروضة. وقد أمر بإنشائه السلطان محـمد المخلوع المعروف بمحمـد الثالث ملك غرناطة (١٣٠٢ - ١٣٠٩م) وقـد بناه على أبدع طراز، وزوده بالعمـد والزخارف والثريات الفـخمة، فكان على صـغر مساحـته من أفخم مساجد غرناطة[١]. ولما احتل الإسبان غرناطة تركوا المسجد على حاله عصرًا، بعد أن أقاموا فيـه هيكلاً واستعملوه كنيسة، ثم هدم فى عام ١٥٧٦م عصر فيليب الثانى ابن شارلمان، وأقيـمت مكانه كنيسة سانتا ماريا ذات البرج الشاهق الذى يعلو كل صروح الحمراء.

ولم يبق من مخلفـات هذا المسجد سوى مصـباح برونزى بديع الشكل والزخرف يحفظ الآن فى متحف مدريد الوطنى.

جنة العريف:

شيد هذا القـصر فى أواخر القرن الثالث عـشر، ثم جدد وزين على يد السلطان أبى الوليد إسماعيل ملك غرناطة (حكم ١٣١٤ - ١٣٢٥م).

ويقع هذا القصـر فى شمال شرقى قصـر الحمراء، فوق ربوة مـستقلة، وهو يشرف على الحمراء، وتدخل إليه من مـدخل بسيط، نقشت سورة الفتح على لوحة خشـبية كبيرة تحـيط بالجزء الأعلى من رواق المدخل. ويؤدى هذا المدخل إلى ساحـة كبيـرة، فى صدرها مدخل ذو ثلاثة عقـود عربية جـميلة الزخارف وقد نقشت فى مربعاتها القصيدة الآتية:

قـصـر بديع الحـسن والإحـسـان

لاحت علـيـــه جـــلالة السـلطان

(١) الإحاطة لابن الخطيب جـ١ ص ٥٥٤ و٥٥٥.

راقت مـــحـــاسنه وأشـــرق نوره

وهمت سـحـائب جـوده الهـتـان

رقـــمت يد الإبـداع فى أرجـــائه

وشـيـا كـمـثل أزاهـر البـسـتـان

فكأن مـجلسـه العـروس تبـرجت

عند الزفـاف بحـسنهـا الفـتـان[1]

وكـفاه من شـرف رفيع القـدر أن

نال اعـــتناء خلـيـفـــة الرحـــمن

خـيـر الملوك أبو الولـيـد المنتـقى

من نخـبـة الأمـــلاك من قـحطان

المقـــتـــدى بالطـاهرين جـــدوده

أنصـار خـــيـر الخلق مـن عـدنان

لحـقـــتـــه منه عناية قـــد جـددت

منه جـــمـال مـــصـانع ومـــبـان

فى عـام نصر الدين والفـتح الذى

هو بالحــــقــيــقـــة آية الإيمان

(١) تصل إلى قصـر جنة العريف من طريق طـويلة صاعدة تظللهـا الأشجـار، ثم تجوز إلى أخرى تظللها أشجار السرو الكثيفة.

لا زال مــعنوا بســعــد خــالد

فى نـور إرشــاد وظـل أمــان

وقد نقشت آية الكرسى فى الجزء الأعلى من هذا العقد.

وفى القصر نقوش عدة متفرقة، فـوق عمد العقود، وفى عقود النوافذ، وفوق الجدران، وفى دوائر صغيرة منها:

لا إله إلا الله مـحـمد رسـول الله

ولا غـــــالـب إلا الله

العـــز القــائم الملـك الدايم لله

الـغـــبـطة المتـــصلـة

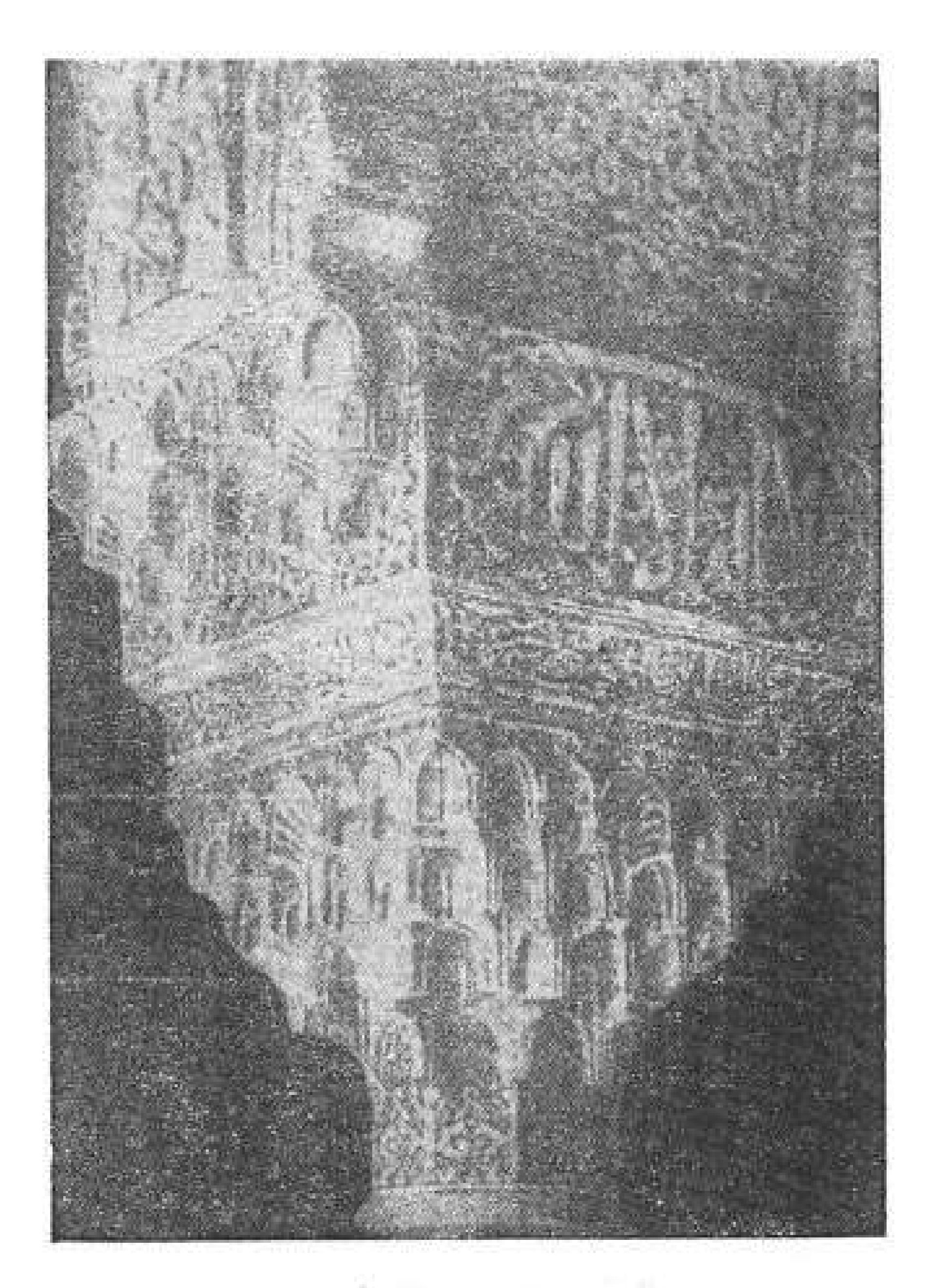
الحـمـد لله على نعـمـة الإسـلام

المـلــك لله وحـــــده

وفيمـا يبدو كان قصر جنة العـريف مصيفًا أو متـنزهًا لسلاطين غرناطة يقصدونه للاستجمام والاستمتاع بجمـال موقعه، ويلجأون إليه لتمضية أوقات فراغ ومتعة.

إن آية فن الحـدائق عند المسلمين هى حدائق جنة العـريف.. هى شىء رائع من أشجـار الحور والأزهار والورد من كل صنف ولون وشجـر الريحان ووسط كل ذلك تقوم برك الماء والنوافير..

إن ما ذكرناه يتعلق بالطبقـة السفلى من قصر جنة العريف. ولكن الملكة «إيزابيلا» ملكة قشتالة قامت بعـد الاستيلاء على غرناطة سنة ١٤٩٢م؛ بإنشاء



تاج واحد من عمد الحمراء
عليه نقش كتابي «لا اله الا الله»

طبـقـة عليـا فـوق البناء الأندلسى، تتكـون أيضًا مـن رواقين طويلين، ومن جناحين متقابلين فى الشمال والجنوب، ذات سقوف مضلعة، على طراز عصر الأحياء. وكـان الجناح الشمالى يضم مـتحفًا فيـه عدة صور تاريخيـة لبعض ملوك قشتالة، والملكين الكاثوليكيين «فـرناندو» و«إيزابيلا»، وصورة يقال إنها صورة أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن آخر ملوك الأندلس. وقد استمر هذا المتحف قائمًا حتى عام ١٩٢١م. ويغلب اليوم الخراب على الطابق الأعلى من قصر جنة العـريف وقد نزعت نوافذه ولكن القصـر الأندلسى الأصيل ما زال بالرغم من هذا التشويه يبدو بطرازه العربى أخاذًا رائعًا[١].

البرطل:

يطلق لفظ البرطل على مجـموعة من المبانى بقصر الحـمراء شرقى بهو السبـاع وهى تتكون من برج السيدات يلاصق قـاعة أمامهـا رواق. وأما هذه المجموعة بركة ماء. ويلاصق البرج عدة منازل صغيرة من الجهة الغربية، وفى المنزل الأول منها رسوم جدارية، ويقابل البـرطل فى اللغة الإسبانية El Parcal وفى الإنجليزية Portico وقد بحث رسوم البرطل طائفة من علماء الآثار، كان من بينهم الدكـتـور جمـال محـرز[٢] بعـد عمليـة ترميم لأنه كـان آيلاً إلى السوقط. وتوضح هذه الرسوم مناظر صيـد وفرق الجنود بملابسهم وسلاحهم وزخارف هندسية جميلة.

❋ ❋ ❋

(١) د. محمد عبد الله عنان: قصر جنة العريف. مجلة قافلة الزيت فى شوال عام ١٣٩٠.

(٢) د. جمال محرز: الرسوم الجدارية أو الإسـلامية فى البرطل بالحمراء، مدريد ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.



الفصل الرابع

غرناطة ما زال من آثارها وما تبقى

يرجع الفضل إلى بنى زيرى على أيام ملوك الطـوائف أن قامت غرناطة تزهو كـمديـنة. فقـد نهض الأمـيران حـبـوس (١٠١٩ - ١٠٣٨) وباديس (١٠٣٨ - ١٠٧٣)، بتشـييـد سور منيع يحـيط بالمدينة وما زال باقـيًا داخل المدينة فيـما بين باب البيـرة إلى الباب الجديد وتتخـلله كثير من الأبراج غـير المنتظمة الشكل، أو الكثيرة الأضـلاع أو نصف المستديرة. وفى هذا الجزء من السور يوجـد بابان: باب المنيتـة والباب الجـديد ولتلك الأبواب أقواس مـبنية بالحجارة أو الآجر وتعلوها أعتاب من الآجر وأقواس مدعمة. ولهذه الأبواب مرافق منثنية Bent entrance ولذلك فإنها تعتبر مـن أقدم النماذج المشيدة بهذا الأسلوب فى إسبانيا، وكـان هناك حتى القرن الماضى بوابتان عظيمتان اخـتفتا اليوم، وهـما باب الرملة وباب مـورور. وكان يشـغل قصر بنـى زيرى الجزء العلوى للقصـبة القديمة ولم يبق شىء من هذا القـصر سوى صهريج يـشتمل على أربعـة أقبيـة وبعض أجزاء من الجـدران. ومن آثار غرناطة العـتيـقة أو القصبة القديمة الباقية الحمامات العـربية وتعرف باسم الحمام الصغير وهو فعلاً حمـام صغيـر ولكنه كامل الصـحن للاستراحـة وخلع الملابس، وفى وسطه مغطس، ثـم غرفة الماء البـارد، وبهو الماء السـاخن تحت عقـود صغـيرة، ثم المستوقد حيث يسخن الماء ثم يجرى فى أنابيب إلى الغرفة الساخنة.

وقد عثر فى غرناطة على مخلفات قلائل من أعمال الزخارف بالإضافة إلى بعض تيجـان العمد. وهناك فى معـهد «فلنسيادون خـوان» فى مدريد ما

يشبه صينية التوابل وهى عبارة عن قطعة من الرخام المنحوت قسمت إلى عدة أقسام ونقشت عليها بعض الكتابات الكوفية.

آثار العصر المرابطى والموحدى:

لم يطرأ تغيـر كثير على غـرناطة فى أيام هاتين الأسرتين الأفريقـيتين، ومن الممكن القول بأن الحصـون القائمة إلى غرب الحمـراء والتى تعرف اليوم باسم أبراج البرميخا (Bermejas) ترجع إلى القرن الحادى عشر. ويشاهد فى المتحف الأثرى بمدريد بعض القطع الخـشبية والجصيـة التى تنسب إلى العصر المرابطى وقد صنعت ببراعة ودقة فائقـة، والأثر الوحيد الباقى فى غرناطة من عصرهم هو قصر صغير فى أقصى غرب غرناطة يعرف اليوم بقصر نهر شنيل وقد تكلمنا عنه.

آثار بنى نصر:

خير الآثار هى التى تنسب إلى أيام بنى الأحمر. ولنبدأ بغرناطة نفسها. فقد امـتدت أسوارها بعد مـا طرأ عليها من الاتساع فى أيام بنـى نصر خارج حى البيازين. ويلاحظ أنه فـى نهاية القرن الثالث عشـر وخلال القرن الرابع عشر ازدهرت حركة التـعمير والبناء وظهرت فيها أروع العـمائر التى اشتملت على أجمل ما عرف فى الأندلس من النقوش والزخارف. وفى القرن الخامس عشر ندرت إقامـة أمثال تلك العمائر النبـيلة. ومما يؤسف له أن معظم المبانى الدينية فى غرناطة افتقدت بعد أن خربها النصارى بعد حركة الاستعادة.

حى البيازين:

يتركز أهم ما بقى من آثار غرناطة الإسلامية (بعد الحمراء وقصبتها) فى حى البيـازين وهو ما يزال إلى اليـوم من أكبـر أحياء غـرناطة. وقد احـتفظ بطابعـه الأندلسى. ويقع هذا الحى فى شـمـال شرقى غـرناطة تجـاه هضبـة الحمراء. ويفصله عنها نهر حدرة، ويمتد على سفح التلال حتى أسوار غرناطة القديمة. وفى حى البيازين ثلاثة من أبواب غرناطة الإسلامـية تحتفظ بعقودها العربية. وهى باب البيـازين، وباب فحص اللوز، وباب الزيادة. ويقع الباب الأخير فى ميدان أو رحبة باب الزيادة.

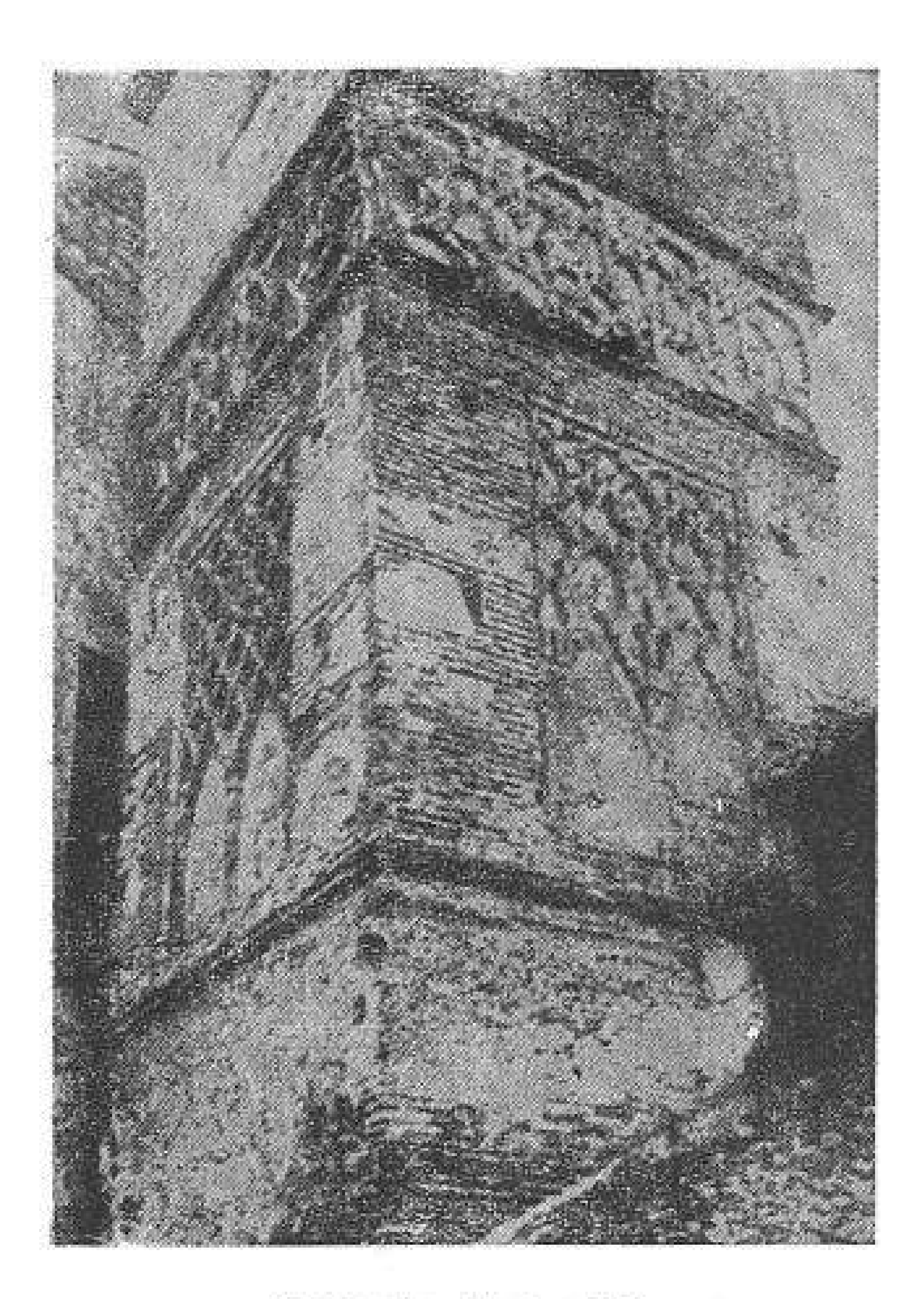
وهناك بقـيـة من أسوار المسـجـد الجامع وعـدة من بوائكه وجـزء من صحفه. وشيدت على أنقاض مسجد المرابطين كنيسة سان خوسيه. وما زالت مئذنة المسجد القديم قائمة وقد حولت إلى برج لأجراس الكنيسة.

وما زالت كنيـسة سان خوان دى لوس ريس تحـتفظ بمئذنة مسـجد آخر (القرن ٧/ ١٣م) بعد إضافة برج الأجراس إليها.

ومـيدان باب الرملة - القـيسـرية التى كـانت سوق غـرناطة الكبيـر. ومازالت تحـتفظ بدروبها الضـيقة. ولما أحـرقت القيـسرية الأندلسيـة فى عام ١٨٣٤م أعيـد تخطيط بنائها على نفس نظامـها القـديم. وما زالت القيـسرية تحتفظ ببابين قديمين.

مدرسة غرناطة القديمة:

أنشأها السـلطان يوسف أبو الحجاج (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م). وتقع اليوم فى درب ضيق وقد أزيل بناؤها الأصلى من القـرن الثامن عشر، ولم يبق من



احدى المآذن وهى اليوم برج اجراس
كنيسة خوان دى لوس ريس

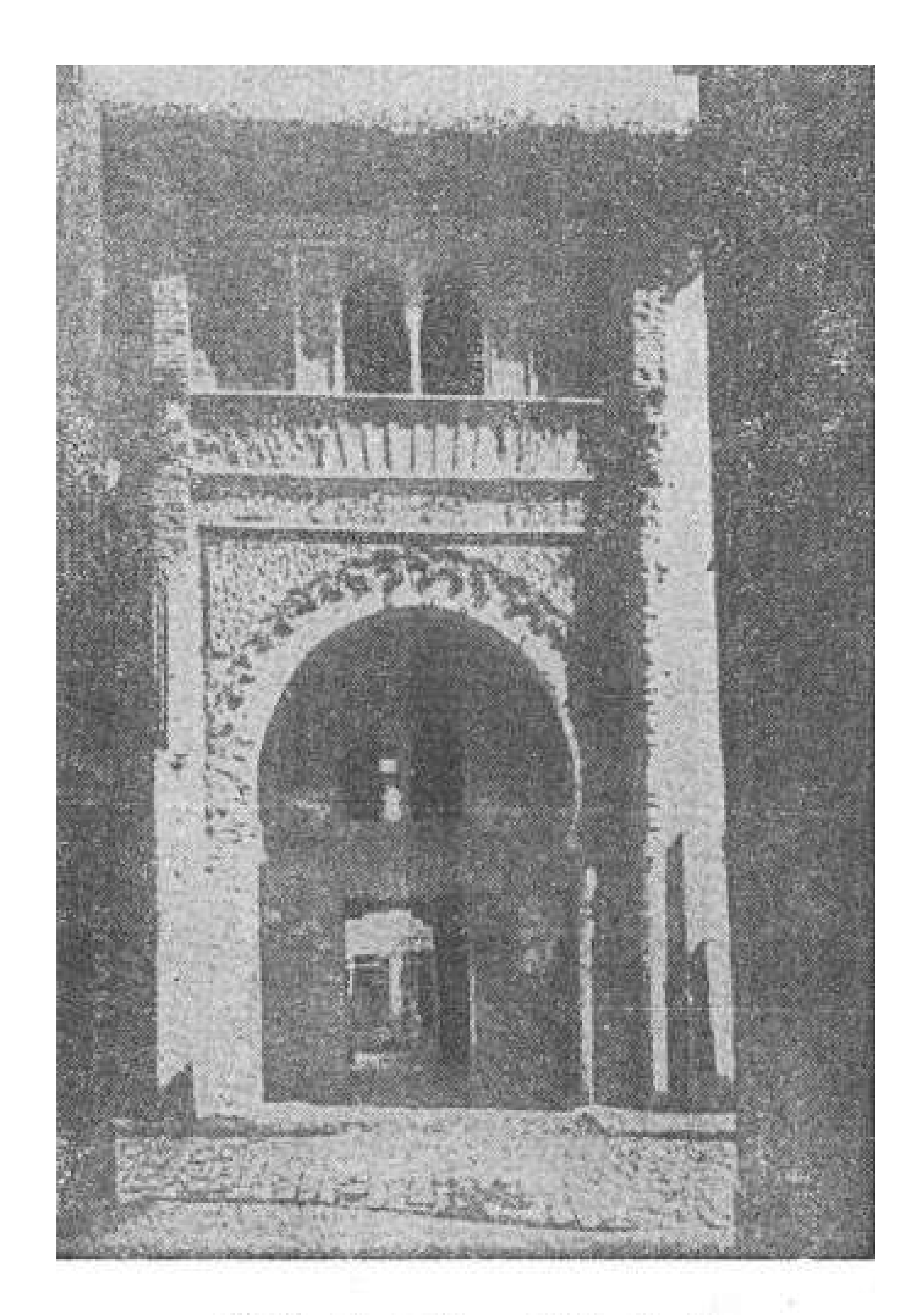
المبنى القـديم سوى الجـزء الذى يحـتوى على المحـراب (بيت الصلاة). أمـا النقوش الـعربية فـقد نقلت إلى مـتحف آثار غـرناطة وإلى متـاحف أخرى. ويوجد فى خـارج غرناطة القديمة دير سان سـبستيـان الصغير ويشـتمل على مصلى صغير شيد فى القـرن الخامس عشر، وربما كان هذا المحراب لضريح، وهو مربع الشكل تعلوه قبة ذات ستة عشر ضلعا.

ولم يبق من حمـامات غرناطة القديمة العـامة سوى حمـام واحد، يقع اليوم فى شارع «كاليه ريال» وينسب طراز هذا الحـمام إلى الطراز القديم، فهو يشتمـل على ثلاث غرف مقبـاة تقوم على محور واحـد، يسبقها غـرفة لخلع الملابس والراحة.

المارستان والفندق:

أما المـستـشفى أو الماريسـتان فـقد تخـرب، بيد أنه احـتفظ بتـخطيطه الأصلى. يحف بفنائه الأوسط أروقة لهـا عقود محـدبة فى الطابق الأسفل، وكـان يقوم حـيث تنهض اليـوم كنيسـة القـديس لازار. وكان مـوضع باب المارستان معروفًا إلى حين قريب باسم «بينفاماسداد».

وأكمل مـبنـى باق إلى اليوم فى السهل هو الفندق الجـديد وهو واحد من عشـرات الفنادق التى قـامت فى غرناطة ويعرف اليوم باسم خـزن الفحم El Corral del Carbon لأنه استخـدم فى وقت ما مخزنًا للفـحم، وقبل ذلك استـخدم مـسرحًـا وديرًا. ولهذه الـدار فناء تحيط به البـوائك ذات الطابقين. وتشبه عمارة هذا الفندق ما نراه فى الفنادق المرينية فى فاس. وللفندق مدخل رائع له بوابة ضخمة وكانت تعلوه النقوش فى زمانه القديم.

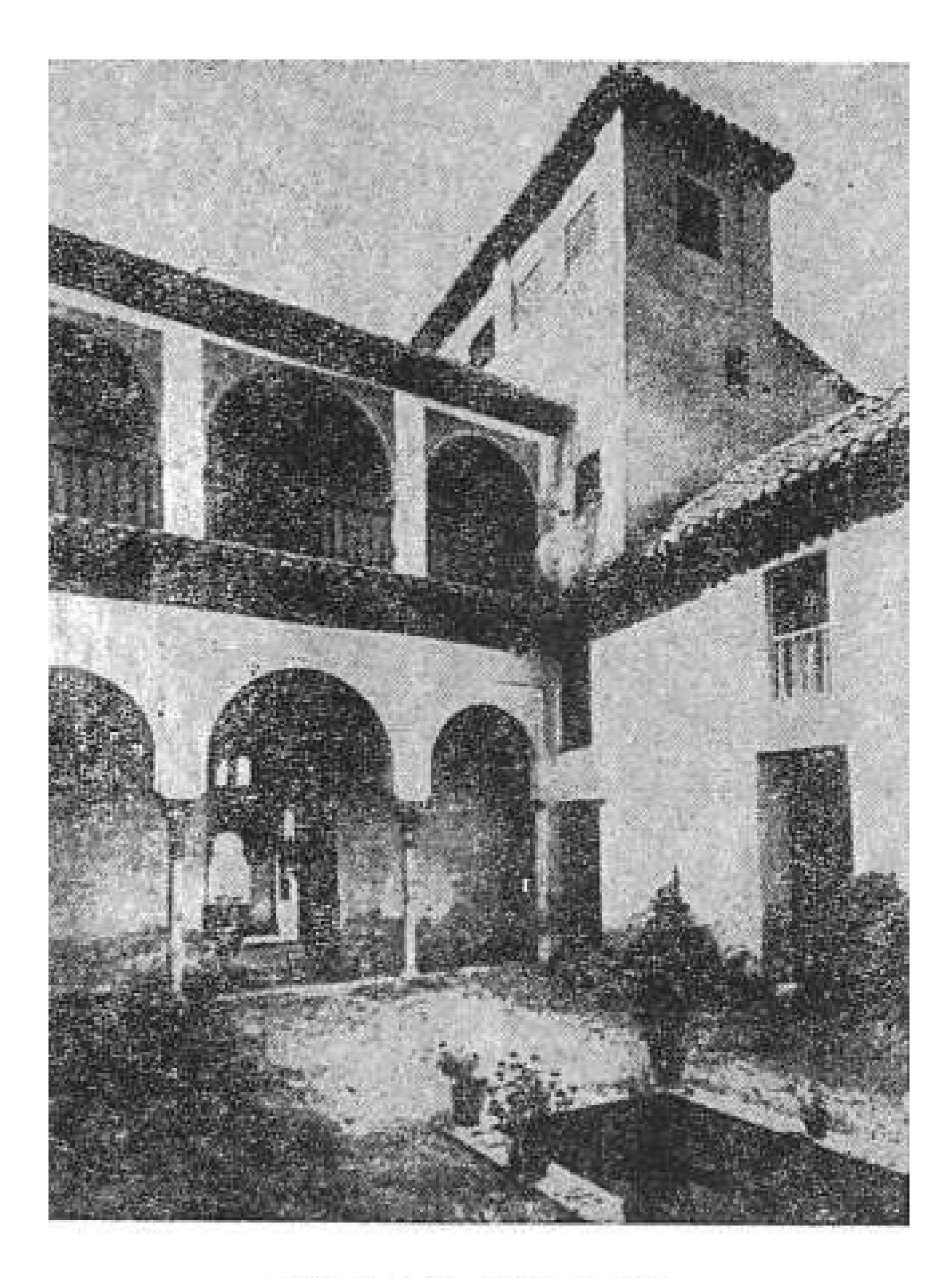


بوابة فناء الفحم – القرن ١٤ غرناطة

وعلى المصـعد المؤدى إلى تل البـيـاسين تقف الدار المعروفـة باسم دار الحرة، وكانت إلى عهد قريب تعـرف بدير القديسة إيسابيلا الملكى، ثم أخلوه ليحتـفظوا به أثرًا. وهذه الحرة هى السيدة عائشـة زوجة السلطان النصرى أبى الحسن الغـالب بالله الذى تولى العـرش سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م وكانت أمـيرة باسلة شديدة الاعتزاز بأبيها السلطان.

عنيت إسبـانيا بتلك الآثار فى السنوات الأخيـرة وكشفت عن زخارفـها وأعادت بعضـها إلى ما كانت عليـه فى زمانها. ومع ذلك فإن قصـر الحمراء يعتبر اليوم من أجمل الآثار الإسلامية ليس فى الأندلس فحسب بل فى العالم الإسلامى كله.

* * *



دار الحرة في غرناطة بناها
السلطان أبو الحسن بن نصر والد أبي عبد الله

ملحق أول

موجز تاريخ الأندلس العربى

من ألفه إلى يائه

(٧١١ - ١٤٩٢م)

٩١هـ - ٧١٠/ ٧١١م: إرسـال الطلائع العربيـة إلى إسـبانيـا، عبـور العرب البحرين سبتة ونزولهم فى البقعة المقابلة التى عرفت باسم جزيرة طريف نسبة إلى القائد طريف بن مالك.

٩٢هـ - ٧١١م: إعداد سبعة آلاف مقاتل من العرب والبربر تحت قيادة طارق بن زياد الليثى وعـبورهم البحـر ونزولهم فى جبل طارق. احتلال ولاية الجزيرة.

٩٢هـ - ٧١١م: التحـام المسلمين والقوط عـلى ضفتى نهـر وادى لكة الذى يصب فى خليج قـادس. انتصار طارق وتشـتت الأعداء ثم امتناعهم بالقـلاع. التقدم إلى مدينة شدوية (سدونيـا) والاستيلاء عليهـا - وقوع قرمونة - التـقدم إلى استـجة - اقتتـال الفريقين وتمزق جـموع العـدو - الزحف إلى طليطلة عاصـمة الـقوط - الاستيلاء على قرطبة - الزحف فـى اتجاه غرناطة والبيرة وملقا -

فتح غرناطة - عبور جبال أستوريا والإشراف على خليج غسقونيا - وصول أوامر موسى بن نصير إلى طارق للعودة إلى طليطلة (٧١٣).

٩٣هـ - ٧١٢م: وصول موسى بن نصير من أفريقيا وزحفه إلى أشبيلية ثم تسليمها - الاستيلاء على ماردة - مقابلة القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد بالقرب من طليطلة - تأنيب طارق - زحف القائدين إلى ولاية أراجون - الاستيلاء على سرقسطة وتراغونة وبرشلونة وغيرها وبناء مسجد فى سرقسطة - غزو ولاية لنجدوك أوسبتمانيا - الاستيلاء على قرقشونة (جنوب فرنسا) وأربونة.

٩٥هـ - ٧١٤م: عودة موسى بن نصير إلى المشرق - دمشق تستدعى القائدين - نظم موسى دعائم حكومته قبل رحيله وجعل حاضرة العرب فى أشبيلية وعهد بإدرتها إلى ابنه عبد العزيز بن موسى.

٩٦هـ - ٧١٥م: استيلاء العرب فى أيام عبد العزيز على جيرونة وأربونة (ناريون).

٩٨هـ - ٧١٧م: وفاة موسى بن نصير.

٩٩هـ - ٧١٨م: الحر بن عبد الرحمن الثقفى يغزو لانجدوك.

١٠٠هـ - ٧١٨م: السمح بن مالك يزحف إلى طولوشة - هزيمته ومقتله (٩ يونيو ٧٢١م) - عبد الرحمن الغافقى يتولى القيادة وعودة العرب إلى أربونة وامتناعهم فيها.

١٠٦هـ - ٧٢٤م: الأمير عنبسة بن سحيم الكلبى يجتاز جبال البرنيس - فتح قرقشونة - استيلاؤه على نيم.

١٠٧هـ - ٧٢٦م: استشـهاده فى كيم بإحدى المعـارك - حديرة يتولى القيادة.

١١٣هـ - ٧٣٢م: الهيثم بن عبيـد يتولى الإمارة فى الأندلس - عبوره البرنيس - غزو ليون وشالون.

١١٣هـ - ٧٣٢م: عبد الرحـمن الغافقى يختـرق ولاية أراجون ونافار ويدخل فرنسـا فى ربيع عام ٧٣٢م - زحفه إلى آرتوا واسـتيلاؤه عليها - تقدمه إلى بوردو واستيـلاؤه عليها وعلى ليون وبيزانسون - ثم بنبلونة - استيلاؤه على تور - وتقدمه إلى الشمال - عجل بالمسير إليه شارل مارتل فى جيش لجب.

رمضـان ١١٤هـ - أكتـوبر ٧٣٢م: معـركة تور حيث التقت الجـيوش العربيـة تحت قيادة عـبد الرحمن بجـيوش شارل مـارتل - تحول النصر العربى إلى هزيمة واستشهاد عبد الرحمن.

١١٦هـ - ٧٣٤م: الأميـر يوسف الفهـرى عامل الأندلس يقـوم بغارة كبرى فى وادى نهر الرون وعبـوره واستيلاؤه على آرل وبروفانس وأفينيـون واستـرداد شارل مارتل أفـينيون بمعاونة قـوات برغندية وحصاره أربونة.

٧٣٧م: هزيمة عقبة بن الحجـاج عامل الأندلس أمام مارتل فى أربونة، ثم استعادتها وبقيت فى قبضة العرب حتى عام ٧٥١م.

١٣٣هـ - ٧٥١م: استيلاء بيبين القصير أول ملوك البيت الفرنجى الكارلوينى على أربونة - وصول الطلائع العربية إلى وديان غرب سويسرة.

١٣٨هـ - ٧٥٥م: وصول الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموى إلى الأندلس.

١٣٩هـ - ٧٥٦م: انتصار عبد الرحمن فى معركة فاصلة وسقوط قرطبة فى يده.

٧٥٧م: سقوط شلمنقا ثم شقوبية (سيجوفيا)، ثم سمورا، فأبلة.

١٥٦هـ - ٧٧٣م: إعلان الأمير عبد الرحمن الاستقلال عن الخلافة العباسية - بداية حكم الأمويين فى الأندلس وحاضرتها قرطبة.

٧٧٨م: حملات شارلمان فى الأندلس.

١٧٠هـ - ٧٨٦م: وضع الحجر الأساسى للمسجد الكبير فى قرطبة.

٧٩٦م: إمارة الحكم الأول فى الأندلس - الاضطرابات فى قرطبة.

٩١٣م: عبد الرحمن يصارع ثوار طليطلة وابن حفصون.

٩١٨م: استيلاء عبد الرحمن على قرمونة وحصن سنتمارية.

٩٣٧م: تحالف الشمال الإسبانى المسيحى ضد عبد الرحمن، فاضطر إلى السير إلى قلعة أيوب وبطليوس وسرقسطة - قتاله ضد النصارى والبشكنس وإخضاعهم - اقتحامه بنبلونة.

٩٣٩م: الحرب بين عبد الرحمن ورايدو الثانى وتيودا ملكة نافار - هزيمة عبد الرحمن.

٩٦١م: القتال بين الحكم المستنصر بالله وفرديناند كونزالز أمير قشتالة وهزم الأول الثانى واستولى على سنت استفان وقلاع شتى.

٩٨٥م: حارب المنصور الكونت بوريل أمير كاتالونيا وهزمه واستولى على برشلونة وعلى حصون أخرى فى قشتالة.

٩٨٨م: استيلاء المنصور على مدينة ليونى وزامورا.

٩٩٥م: ولى المنصور - معن بن عبد التجيبى على زامورا.

١٠٠٢م: قام المنصور بآخر غزواته فاخترق قشتالة ولكن لحقه المرض فمات فى ١٠ أغسطس ١٠٠٢م (٣٩٣هـ) ودفن بمدينة سالم بعد أن قضى فى الحكم ٢٧ سنة.

حارب عبد المعن بن المنصور ملكى نافار وليون وهزمهما فى بنبلونة وتوفى سنة ١٠٠٧م/ ١٠٠٨م.

١٠١٥م: غزا مجاهد الدانى جزر البليار.

١٠١٦م: احتل مجاهد بعض أجزاء من سردينية وقورسقة ثم وجه نشاطه إلى غزو سواحل إيطاليا وغالة.

١٠٢٣ - ١٠٩١م: بنو عباد فى أشبيلية.

١٠٢٧ - ١٠٣١م: هشام الثالث آخر الأمويين فى قرطبة.

١٠٤٥م: وفاة مجاهد وخلفه ابنه على فواصل سياسة أبيه. لم يستطع مواصلة الجهاد أمام منافسات الطوائف - استولى بنو هود على ما بيده.

١٠٥٠م: استخلاص سردينية من أيدى المسلمين على يد الجنوبيين وحلفائهم بتشجيع الباب ليو التاسع - كانت الخطوة الأولى لضياع سيادة المسلمين على غرب البحر المتوسط.

١٠٦١ - ١١٠٦م: يوسف بن تاشفين يؤسس أسرة المرابطين البربر التى حكمت بين ١٠٩٠ و١١٤٧م فى شمال غرب أفريقيا وجنوب إسبانيا ويجعل حاضرته أشبيلية.

١٠٨٠م: استيلاء القطلان على طرجونة.

١٠٨١م: سقوط وادى الحجارة فى أيدى القشتاليين.

٤٧٦هـ - ١٠٨٣م: سقوط مدريد فى قبضة ألفونسو السادس ملك قشتالة.

١٠٨٣م: ألفونسو السادس يهزم المعتمد صاحب أشبيلية.

١٠٨٥م: ألفونسو السادس يغزو طليطلة.

٤٧٩هـ - ١٠٨٦م: سقوط طليطلة فى قبضة ألفونسو السادس.

٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م: يوسف بن تاشفين يهزم الإسبان فى معركة الزلاقة.

١٠٩٠م: حملة يوسف بن تاشفين على الأندلس وعزله ملوك الطوائف.

٥١١هـ - ١١١٧م: سقوط تطيلة فى قبضة الأرجونيين.

٥١٢هـ - ١١١٨م: سقوط سرقسطة فى قبضة الأرجونين.

١١٠٧ - ١١٣٠م: محمد بن تومرت يؤسس دولة الموحدين.

٥٤٢هـ - ١١٤٧م: سقوط أشبونة فى قبضة البرتغاليين والإنجليز.

١١٤٧م: سقوط شنترة فى قبضة البرتغاليين.

١٧ أكتوبر ١١٤٧م: استيلاء الإسبان على المرية.

٥٤٣هـ - ١١٤٨م: استيلاء الأرجونيين على طرطوشة.

٥٤٤هـ - ١١٤٩م: استيلاء القطلان على لاردة.

٥٥٦هـ - ١١٦١م: سقوط باجة فى قبضة البرتغاليين.

٦٠٩هـ - ١٢١٢م: انتصار الإسبان على الموحدين فى الأندلس.

١٢٢٥م: الموحدون يجلون عن الأندلس - قيام دولة بنى مدين فى فاس - وبنى زيان فى تلمسان وبنى حفص فى تونس وبنى هود فى الأندلس.

٦٢٦هـ - ١٢٢٧م: سقوط بطليوس فى قبضة القشتاليين.

٦٢٨هـ - ١٢٢٩م: استيلاء القشتاليين على ماردة.

١٢٣٢ - ١٤٩٢م: دولة بنى نصر فى الأندلس وحاضرتها غرناطة وهى آخر الأسرات الإسلامية فى الأندلس.

١٢٣٢م: فتح الأراجونيين ميورقة.

٦٣٣هـ - ١٢٣٦م: سقوط قرطبة فى قبضة قشتالة.

٦٣٣هـ - ١٢٣٦م: سقوط قرطبة فى قبضة قشتالة.

٦٣٥هـ - ١٢٣٧م: سقوط استجة.

٦٣٦هـ - ١٢٣٨م: استيلاء الأرجونيين على بلنسية.

٦٤٠هـ - ١٢٤٢م: سقوط شيلب فى قبضة البرتغاليين.

٦٤٠هـ - ١٢٤٣م: سقوط قرطاجنة فى قبضة القشتاليين.

٦٤١هـ - ١٢٤٣م: استيلاء الأرجونيين على مرسية.

٦٤٤هـ - ١٢٤٦م: استيلاء القشتاليين على جيان.

٦٤٥هـ - ١٢٤٧م: استيلاء القشتاليين على قرمونة.

: استيلاء القشتاليين على قلعة جابر.

٦٤٥هـ - ١٢٤٨م: استيلاء الأرجونيين على لورقا.

٦٤٦هـ - ١٢٤٨م: استيلاء فرناندو الثالث على أشبيلية.

: استيلاء الأرجونيين على ألش.

: استيلاء الأرجونيين على ليقنت.

٦٤٧هـ - ١٢٤٩م: استيلاء الأرجونيين على شاطبة.

: استيلاء البرتغاليين على شنبامرية الغرب.

٦٥١هـ - ١٢٥٣م: استيلاء الأرجونيين على دانية.

٦٥٥هـ - ١٢٥٧م: سقوط ولبة فى قبضة القشتاليين.

٦٦١هـ - ١٢٦٢م: سقوط أوريولة فى قبضة الأرجونيين.

: سقوط قادس فى قبضة ألفونسو العالم.

٦٦٣هـ - ١٢٦٤م: سقوط شيريش ألفرنتيرة فى قبضة ألفونسو العالم.

٦٩١هـ - ١٢٩٢م: سقوط طريف فى قبضة القشتاليين.

٧٤٢هـ - ١٣٤٢م: سقوط الجزيرة الخضراء فى قبضة القشتاليين.

٨٦٧هـ - ١٤٦٢م: سقوط جبل طارق فى قبضة القشتاليين.

٨٨٧هـ - ١٤٨٢م: سقوط الحامة فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٠هـ - ١٤٨٥م: سقوط رندة فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩١هـ - ١٤٨٦م: سقوط لوشة فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٢هـ - ١٤٨٧م: سقوط أرشدونة فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط ملقا فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط بلش ملقا فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٣هـ - ١٤٨٨م: سقوط مربلة فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٥هـ - ١٤٨٩م: سقوط المنكب فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط متريل فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط بسطة فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط شلوبانية فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٥هـ - ١٤٩٠م: سقوط وادى آش فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط المرية فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٧هـ - ١٤٩٢م: دخول الملكين فـرناندو وإيزابيلا غرنـاطة (التسليم النهائى).

❊ ❊ ❊

ملحق ثان

بنو نصر بغرناطة

١ - أبو عبد الله محمد (الأول) الغالب بن يوسف بن نصر.

٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م.

٢ - أبو عبد الله محمد (الثانى) الفقيه بن محمد.

٦٧١هـ/ ١٢٧٢م

٣ - أبو عبد الله محمد (الثالث) المخلوع بن محمد.

٧٠١هـ/ ١٣٠٢م

٤ - أبو الجيوش نصر بن محمد.

٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م

٥ - أبو الوليد إسماعيل بن فرج.

٧١٣هـ/ ١٣١٣م

٦ - محمد بن إسماعيل.

٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م

٧ - أبو الحجاج يوسف (الأول) بن إسماعيل

٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م

٨ - محمد الغنى بالله بن يوسف.

٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م

٩ - أبو الوليد إسماعيل بن يوسف.

٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م

١٠ - أبو سعيد محمود بن إسماعيل.

٧٦١هـ/ ١٣٦٠م

محمد الغنى بالله بن يوسف (للمرة الثانية)

٧٦٣هـ/ ١٣٦١م

١١ - أبو الحجاج يوسف بن محمد

٧٩٣هـ/ ١٣٩١م

١٢ - محمد المستعين بن يوسف.

٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م

١٣ - أبو الحجاج يوسف، الناصر بن يوسف.

٨١٠هـ/ ١٤٠٧م

١٤ - محمد، المتمسك بن يوسف.

٨٢٠هـ/ ١٤١٧م

١٥ - محمد الصغير بن نصر.

٨٣١هـ/ ١٤٢٨م

محمد المتمسك بن يوسف (للمرة الثانية).

٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م

١٦ - أبو الحجاج يوسف بن محمد.

محمد المتمسك بن يوسف (للمرة الثالثة)

٨٣٥هـ/ ١٤٣١م

١٧ - محمد، الأحنف بن عثمان

٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م

١٨ - سعد المستعين بن على.

٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م

محمد، الأحنف بن عثمان (للمرة الثانية).

٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م

سعد المستعين بن على (للمرة الثانية).

٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م

١٩ - أبو الحسن، على بن سعد.

٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م

٢٠ - أبو عبد الله محمد بن على.

٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م

أبو الحسن، على بن سعد.

٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م

٢١ - محمد بن سعد الزغل.

٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م

أبو عبد الله محمد (للمرة الثانية).

٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م

استيلاء فرديناند وإيزابيلا على غرناطة.

٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م

* * *

مراجع لمزيد من المطالعة

- **د. جمال محرز**: الرسوم الجدارية فى البرطل بالحمراء، مدريد ١٩٥١.
- **د. حسين مؤنس**: رحلة الأندلس - حديث الفردوس الموعود. القاهرة ١٩٦٣.
- **د. حسين مؤنس**: فجر الأندلس - دراسة فى تاريخ الأندلس - الشركة العربية.
- **د. حسين مؤنس**: مقالات عن الأندلس فى مجلة العربى - الكويت.
- **على إسلام**: إسبانيا والأندلس - رحلة عام ١٩٥١.
- **د. لطفى عبد البديع**: الإسلام فى إسبانيا - المكتبة التاريخية رقم ٢ القاهرة.
- **د. محمد عبد الله عنان**: الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال - دراسة تاريخية أثرية. القاهرة ١٩٥٦.

: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة.

- **د. م عبد العزيز السيد**: دائرة معارف الشعب، مادة غرناطة.

- **د. م م عبد العزيز مرزوق**: قصر الحمراء - المكتبة الثقافية رقم ٩١.

- **محمد لبيب البتنونى**: رحلة الأندلس - القاهرة.

- **شكيب أرسلان**: خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة. القاهرة ١٩٢٥.

- **المقرى**: أزهار الرياض.

- **Irving, Washington**: The Conquest of Granada.

- **Hill, Cesilia**: Moorish Towns in Spain. Methuen.

❋ ❋ ❋

فهرست الصور والخرائط

الفهرست